الحياة الاقتصادية للأمم والشعوب القديمة من خلال القرآن الكريم

المدرس الدكتور
عبد الغني غالي فارس
جامعة البصرة – كلية الدراسات التاريخية

المقدمـــــــة :

يعد القرآن الكريم الكتاب الوحيد الذي لا يرقى محتواه للشك إطلاقاً ، فهـو كـلام الله عز وجل الذي أنزله وتكفل بحفظه، قال تعالى:((إِنَّـا نَحْـنُ نَزَّلْنَـا الـذِّكْرَ وَإِنَّـا لَـهُ لَحَافِظُونَ))[١] .

ومع أنه مصدر تشريع للدين ، فلم يخلُ من مادة تفيد الباحثين في شتى صنوف العلـم والمعرفة الأخرى ، لاسيما علم التاريخ ، وإحدى القضايا الجوهرية التاريخية التي تناولها واخترناها موضوعاً لبحثنا هذا: الحياة الاقتصادية للأمم والشعوب القديمة .

وهذه الأمم والشعوب التي عرض القرآن حياتها الاقتصادية ، هي ما أصـطلح علـى تسميتهم في التاريخ بالعرب البائدة (عاد، ثمود، مدين) والمصريين القـدماء ، بالإضـافة لبني إسرائيل وسبأ ، فضلاً عن سكان مكة والمدينة والطائف قبل الإسلام .

ومصطلحا الأمم والشعوب ، اللذان أعتمدناهما في البحث ، ارتكزا على مفهوم القرآن لهما ، قال سبحانه:((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُـعُوبًا وَقَبَائِـلَ لِتَعَارَفُوا))[٢] .

فالشق الثاني من الآية الكريمة يبين أن كافة الناس ينتمون لشعوب وقبائـل ، وتمثـل القبيلة رابطة النسب الأقرب التي تجمعهم ، أما الشعوب ومفردها شـعب فهـو المكـون الأكبر الذي يضمهم ورابطة النسب الأبعد التي تصلهم ، فكل شعب تندمج تحـت لـواءه القبائل التي تنتسب له[٣] ، أما الأمم ومفردها أمة فغالباً ما يحمل معناها في القرآن طابعـاً دينياً ، فكل أمة تنتمي إلى نبيها ، أو إلى دينها بشكل عام[٤] .

وعلى هذا فأن جميع الأقوام التي تطرق البحث لحياتها الاقتصادية تعد شعوب والبعض منها جعلها الانتماء أيضاً إلى أحد الأنبياء ، أو الديانات ، شعوب وأمم في آن واحد ٠

ويهدف البحث لتقديم دليل ملموس ونموذج حي على أهمية القرآن كمصدر في التاريخ ، واعتمدنا في أعداده من بعد القرآن على مصادر تفسيره الرئيسة لدى مختلف المذاهب الإسلامية ، فضلاً عن التوراة ومصادر التاريخ الأساسية ذات الصلة الوثيقة بالموضوع ٠

ولتحقيق قدر مناسب من التوازن بين المباحث ، وبالنظر لوجود أكثر من أمة أو شعب عاشوا في رقعة جغرافية واحدة في إحدى مراحل التاريخ وحدث تداخل بينهم آنذاك في كافة مجالات الحياة ، ومنها الجانب الاقتصادي –كما سنلاحظ في ثنايا البحث– مما يجعل الفصل بينهم يخل بالبحث ويضطرنا للتكرار، وهو ما حرصنا على تجنبه، ارتأينا عرض البحث وفق مناطق سكنى الأمم والشعوب المتقدم ذكرها وذلك في ثلاثة مباحث ، الأول منها خصص لمصر القديمة ، أما المبحث الثاني فتناول بلاد الشام ، في حين تطرق المبحث الثالث والأخير لشبه جزيرة العرب ٠

المبحث الأول: مصر القديمة

ينتمي جل سكان مصر في عصور ما قبل التاريخ لأصول إفريقية ، ولكن في أواخر عصر ما قبل الأسرات دخلت إلى البلاد موجة كبيرة من مهاجرين شبه جزيرة العرب ، أما عبر البحر الأحمر أو عن طريق بلاد الشام ، واندمجوا بمرور الوقت في سكانها الأصليين حتى أصبح من الصعوبة التمييز بينهما مع بزوغ فجر التاريخ في مصر القديمة[٥] ، مما نتج عنه ظهور شعب موحد أوجد مصر التاريخية ولم يطرأ عليه الكثير من التغيير طوال عصوره الفرعونية[٦] ٠

وقد ورد أسم مصر أربع مرات في القرآن الكريم[٧] ، وما تضمنه من معلومات اقتصادية عنها جاء في سياق سرده لقصتي يوسف وموسى (عليهما السلام) اللتان وقعت أحداثهما الرئيسة هناك ٠

وتدل المعطيات التاريخية على أن أحداث القصة الأولى وما ارتبط بها من دخول بني إسرائيل إلى مصر وقعت أثناء عهد الهكسوس – الذين ينتمي أغلبهم لأصول جزرية – في مصر (١٦٧٠-١٥٧٠ق٠م)[٨] ، إما قصة موسى (ع) فترجع أحداثها إلى عهد ما

اصطلح على تسميته بفرعون موسى ، أو فرعون الخروج ، الذي اجمع المختصون في التاريخ القديم على انه احد فراعنة الدولة المصرية الحديثة(١٥٧٠-١٠٧٠ق٠م) مع الاختلاف على هويته[٩] ٠

وكلتا الفترتين تعد غاية في الأهمية في تاريخ مصر القديمة ، إذ شهدت البلاد فيهما آنذاك حدثين فريدين أحداهما كان على النقيض من الآخر ، تمثل الأول بخضوعها لأول مرة في تاريخها تحت حكم قوة خارجية متمثلة بالهكسوس ، أما الحدث الثاني فتميز ببلوغها ذروة القوة والعظمة في ظل إمبراطوريتها الحديثة بعد نجاح فراعنة أسرتها السابعة عشرة في طرد الهكسوس ٠

كما وأن هذين العهدين شهدا أيضاً – وهو ما يهم في الأمر – تنامي علاقات مصر الاقتصادية مع العالم الخارجي، لاسيما مع بلاد الشام ، بشكل لم تألفه من قبل ، حيث أصبح كلا البلدين آنذاك تحت حكم مرجعية سياسية واحدة مقرها مصر ، في منفيس تارة وفي طيبة تارة أخرى ٠

ونجد صدى هذه العلاقة الوثيقة بينهما حاضرة في أولى الإشارات القرآنية عن الاقتصاد المصري القديم ، فالسيارة الذين التقطوا يوسف (ع) من قعر البئر كانوا تجاراً من بلاد مدين وفي طريقهم إلى مصر لبيع تجارتهم فيها ، عندما عثروا عليه مصادفة في البئر الذي ألقاه فيه أخوته ويقع في دوثان[١٠] ، ويدل على حرفتهم نعتهم ليوسف(ع) بالبضاعة وبيعهم له ، قال تعالى:((وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ، وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ))[١١] ٠

فكلمة الشراء الواردة في الآية الكريمة تعني البيع أيضاً ، أي أن أولئك التجار (السيارة) احضروا يوسف (ع) معهم إلى مصر وباعوه بدراهم معدودة ، ومما يؤكد ذلك قوله سبحانه في الآية التي تلتها:((وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا))[١٢] ٠

والدراهم المعدودة على الأرجح كناية عن الثمن المتواضع الذي بيع فيه يوسف (ع) ، إذ لا يوجد ما يدل على تعامل المصريين القدماء بالدرهم وكذلك الحال بالنسبة لنظرائهم

سكان بلاد الشام ، بل أن مصر لم تعرف العملة المسكوكة إلا في القرن الرابع قبل الميلاد ، حسبما أفادت به الآثار المصرية المكتشفة[١٣] .

ولعل ما ذكرته التوراة بأن ثمن يوسف(ع) كان عشرين من الفضة[١٤] ، أي عشرين شاقل منها[١٥] ، هو ما عناه القران ، نظراً لتعامل المصريين بالفضة وسائر المعادن منذ القدم ومثلهم سكان بلاد الشام[١٦] .

ويبدو أن ما دفع أولئك التجار للاستعاضة عن يوسف(ع) بهذا الثمن البخس ((أنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه ، ولأنه يخاف أن يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من أول مساوم بأوكس الإثمان))[١٧] ، وهذا ما جعلهم من الزاهدين فيه .

وفضلاً عن التجارة ، ففي القصة المذكورة معلومات وافية حول الزراعة التي كانت تشكل المورد الأول في حياة سكان وادي النيل ، فالرؤية التي أقضت مضجع الملك ، الذي يرجح أنه ابوفيس الأول (أبابي الأول)[١٨] ، وأولها يوسف(ع) خير تأويل ، تسلط الأضواء على ما كان عليه واقع هذا النشاط الفعال طوال أربعة عشر عاماً عاشتها مصر تحت ظل الهكسوس ومحورها الرئيس الأزمة الاقتصادية التي مرت بالبلاد آنذاك وكيفية معالجتها ، وقد ورد ذكرها مرتين في سورة يوسف[١٩] .

وكثيرة هي الأزمات الاقتصادية التي عانت منها مصر في عصورها القديمة ولعل أشهرها ما حدث عشية سقوط الدولة القديمة(٢٨٧٨-٢٢٨٢ق٠م) وأواخر حكم الأسرة العشرين(١٢٠٠-١٠٧٠ق٠م) ، إذ وصلت البلاد حينها إلى حد المجاعة[٢٠] .

ولكن هذه المرة أقتضى اللطف الإلهي بسكان مصر أن يكون المسئول عن إدارة اقتصادهم (المشرف على خزائن مصر) رجلاً من أصفيائه ، ألا وهو نبيه يوسف(ع) الذي كان قبل هذا يقبع مظلوماً في أحد السجون المصرية ، ومع ذلك فقد نبأ بناءً على رؤية الملك بحدوث الأزمة قبل وقوعها وأقترح الحلول المناسبة لتجاوزها ، مما كان سبباً مباشراً لأن ينظر الملك في التهمة الملصقة به زوراً وبهتاناً وتبرئته منها ، ومن ثم توليته لهذا المنصب الحساس الذي بادر يوسف(ع) لطلبه من الملك[٢١] ، لكونه يعلم جيداً أنه الأقدر على النهوض بواجباته على أتم صورة وعلى النحو الذي يمكنه من تلافي خطر المجاعة المقبلة ، لما يملكه من علم وبصيرة في ذلك ولما أمتاز به أيضاً من أمانة وحسن تدبير، حيث قال له : ((اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ))[٢٢] .

ويشار في القران إلى إن يوسف(ع) كان متوليا لمنصب العزيز أثناء سني ألازمه[٢٣] ، وهو لقب لأكبر وزراء الملك وأمنائه[٢٤] ، مما يعني إن الأخير أعطى يوسف(ع) ما طلب من منصب وزيادة ، إذ جعله الرئيس الثاني للبلاد بعده يتصرف فيها كيف شاء ، وذلك قوله تعالى ((وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ))[٢٥] .

وهكذا وغداة تسلم الصديق(ع) لمنصب الوزارة شرع باتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة الأزمة الاقتصادية المتوقعة ، وتمثلت أولاً بالعمل جهد طاقته لمضاعفة الإنتاج ، فقد استصلح مساحات زراعية جديدة في أطراف الدلتا عبر شق الترع وضاعف من حجم المساحة المزروعة في الفيوم ، فأخذ المحصول يزداد سنة بعد أخرى[٢٦] ، وفي القرآن ما يوحي بهذا ، فيوسف (ع) فسر رؤية الملك لسبع بقرات سمان وسبع سنبلات خضر، بقوله:((تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا)) ، أي تزرعون طوال هذه السنين بجد ونشاط[٢٧] ، مما يقتضي بالتأكيد زيادة الإنتاج أثناءها ومضاعفته ، وقد جاء في التوراة أن ما جمعه يوسف(ع) من((القمح يعادل رمال البحر))[٢٨] .

على أن ذلك لم يكن منتهى الغاية بالنسبة للنبي الأمين(ع) ، فالأصل هو توفير الطعام اللازم للسكان في سني الجدب والقحط المقبلة ، وهن اللواتي رآهن الملك في منامه بهيئة سبع بقرات عجاف وسبع سنبلات يابسات ، ولذلك عمد يوسف(ع) لخزن الحبوب في سنابلها طوال سني الخصب السبعة ، ليكون حفظها لسبع سنوات لاحقه ممكن ، ولم يكن يخرج منها إلا ما يكفي لإطعام الناس ، وكان (ع) أوصى الملك سلفاً بمثل هذا الإجراء الاحترازي عندما قال له:((فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ))[٢٩] .

أن سبب الأزمة المذكورة على الأرجح كان انقطاع الأمطار وانخفاض منسوب مياه النيل ، مما ترتب عليه جفاف الأرض وموت المحاصيل الزراعية وغيرها من التبعات كموت المواشي وقلة تكاثرها[٣٠] ، وقد أثبتت إجراءات يوسف(ع) فعاليتها الكبيرة في تجاوزها عندما وقعت ، إذ كان يطعم الناس طوال سنيها الصعبة مما أدخره في سنوات الرخاء التي سبقتها ، وكان ذلك مصداقاً لتأويله لحلم الملك في أن البقرات العجاف يأكلن نظيراتهن السمان ، ويبدو إن القرآن شبه السنين بالبقر لكون الأخيرة تثير الأرض التي يستغل منها الثمرات والزرع[٣١] .

وكان الطعام المدخر من الوفرة ما سمح بتغطية احتياجات سكان المناطق المحيطة بمصر، التي عاشت ظروف اقتصادية مشابهه ، ففي القران ما يفيد بأن أخوة يوسف (ع) كانوا يترددون على مصر للتزود بالمؤن لما أصابهم من قحط[٣٢] ، وهم يسكنون حينها في بادية فلسطين[٣٣] ، وهي بالمناسبة إحدى أجزاء بلاد الشام التابعة للهكسوس طوال حكمهم لمصر ٠

وبذلك حافظ يوسف(ع) على ديمومة الاقتصاد المصري الذي أشتهر قديماً بوفرة أنتاجه من الحبوب ، مما كان يسمح بتصديره إلى البلدان الأخرى[٣٤] ٠

ويلاحظ من عملية بيع يوسف (ع) *الحبوب* إلى أخوته أن المصريين آنذاك كانوا يستخدمون الكيل في معاملاتهم التجارية ، فلفظة كيل وردت خمس مرات في هذه السورة على لسان يوسف(ع) أو أحد أخوته[٣٥] ، وأن وحدة الكيل المستعملة عندهم أثناء سني ألازمه هي الصواع(الصاع) ، وهو عبارة عن أناء كان يستخدمه الملك لشرب الماء ثم جعل إلة كيل خاصة به عرفت بصواع الملك أو صاعه ، لندرة الطعام وعزته آنذاك[٣٦] ، ولذلك سمي في السورة ذاتها سقاية تارة وأخرى صواعا[٣٧] ٠

وبالنظر إلى أن يوسف(ع) أعطى أثناء الأزمة كل فرد من أخوته حمل بعير من الطعام (القمح) لقاء ما كان يقدمه من بضاعة[٣٨] ، فمن المرجح أن المصريين وسائر سكان كنعان حصل كل شخص منهم أيضاً على حصة مشابهة نظير بضاعته ، فكلا الشعبين كانا من رعايا الهكسوس وإحدى خصال الأنبياء العدالة بين الناس في الصغيرة والكبيرة ٠

وفي هذا لخصوص يذكر، بأن يوسف(ع) كان ((يوزع الحنطة بالقسط بين الناس ، لا فرق عنده بين شعب وشعب))[٣٩] ٠

وبصرف النظر عن محتوى البضاعة التي دفعها أخوة يوسف ثمناً للقمح ، ففي نص القرآن هذا دعماً لوجهة النظر القائلة بأن نظام التبادل أو المقايضة كان شائعاً ومعروفاً في المعاملات التجارية والمالية في مصر القديمة[٤٠] ٠

وأعقب سني الشدة عام أخذت فيه الأمطار تسقط على مصر على حالها المعهود سابقا ، فاخضرت مرابعها ونمت ماشيتها وعاد إنتاجها الزراعي لسابق عهده من القوة والنشاط ، الأمر الذي توقعه يوسف(ع) أيضاً قبل أوانه عندما قال للملك:((ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ))[٤١] ٠

وفي سياق القصة كذلك ترد الإشارة لهجرة يعقوب(ع) مع أبنائه من مناطق سكناهم في البادية – أي بادية فلسطين – إلى مصر[٤٢] ، وتخبرنا التوراة بأنهم كانوا حينها سبعين شخصاً وقد احضروا معهم جميع ما لديهم من ماشية، فأسكنهم يوسف(ع) في منطقة جاسان[٤٣] ، التي تمتاز بمراعيها الخصبة[٤٤] ، مما يعد بالتأكيد تحول كبير في نمط معيشتهم وحياتهم بشكل عام ، أذ عرفوا هناك حياة الاستقرار لاول مرة وتعلموا شتى أنواع الحرف[٤٥] ، التي سنذكرها لاحقا ٠

وبالانتقال للحديث عن قصة موسى(ع) سنجد معلومات غزيرة عن طبيعة الاقتصاد المصري وما طرأ عليه من تغيرات في عصر الدولة الحديثة ، التي وقعت أحداث القصة الرئيسة أثناءها ، كما سبق ونوهنا ، ولكن قبل الولوج في تفاصيلها لابد أولاً من محاولة التعرف على شخصية الفرعون الذي عاصر موسى(ع) وكان طرفاً فاعلاً في أحداث ومجريات القصة المذكورة وما احتوته من إشارات اقتصادية عن مصر في تلك الحقبة ، وهو على ما يرجح نفسه الفرعون الذي بالغ في إيذاء بني إسرائيل حتى دفعهم للخروج من مصر ، وفقاً لما جاء في القرآن ، واصطلح على تسميته بفرعون موسى أو فرعون الخروج ٠

وكما أسلفنا أختلف الباحثون في تحديد هوية هذا الفرعون ، ونحن نضم صوتنا لمن رجح منهم إن يكون رعمسيس الثاني(١٢٩٩-١٢٣٢ق٠م) هو المقصود بالأمر[٤٦] ، لجملة أسباب ، أهمها فأن ما جاء في القرآن عن فرعون موسى يؤكد طول مدة حكمه ، إذ يتضح منه إن هذا الفرعون كان حاكما لمصر عندما ولد موسى(ع) وقد تربى موسى(ع) في قصره منذ ولادته وحتى((بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى))[٤٧] ، أي ناهز عمره الثلاثين سنة على الأرجح[٤٨] ، ولازال حاكما للبلاد طوال المدة التي أمضاها موسى(ع) في مدين ، وهي تتراوح من ثمان إلى عشرة أعوام ، وما تلا ذلك من عودة موسى(ع) إلى مصر ثانية وبقاءه فيها مدة من الزمن انتهت بحادثة الخروج الشهيرة ، التي تزامنت مع انقضاء عهد فرعون بموته غرقا في مياه البحر(البحر الأحمر) ، وهي بالتأكيد مده طويلة استنفذ فيها موسى(ع) كل الخيارات المتاحة بيده لإهداء فرعون وأتباعه من دون جدوى ، مما دعاه بالتالي لأن يدعو الله إن ينزل العذاب بهم[٤٩] ، ولا يستبعد أنها بلغت الثلاثين سنة على ما روى احد المفسرين[٥٠] ٠

وبحساب هذه السنين التي عاصر فيها موسى(ع) الفرعون موضع البحث منذ بداية حكمه وحتى نهايته،سنجد أنها تضاهي سنوات حكم رعمسيس الثاني أو تزيد عليها بقليل .

وفضلاً عن ذلك أشتهر رعمسيس الثاني بأعمال البناء الضخمة التي شيدها داخل مصر وخارجها ، بحيث لم يضاهيه أي فرعون في هذا المجال ، ومن أشهر أعماله تشيده لمدينتي بررعمسيس وفيثوم في شرقي الدلتا[٥١] ، وهما المدينتان اللتان ذكرت التوراة أن الفرعون سخر بني إسرائيل في بنائهما[٥٢] ، وفي القرآن أيضاً ما يوحي ضمناً بهذه الفكرة ، فمن المعاني الدالة لتفسير قوله تعالى على لسان بني إسرائيل وهم يشكون لموسى(ع) ما حل بهم:((أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا)) ، أنهم شكوا استخدم الفرعون لهم في الأعمال الشاقة ، كأعمال البناء وما شابهها[٥٣] .

وعلاوة على ما تقدم يتبين من القرآن بأن الفرعون موضع البحث استضعف بني إسرائيل ، فكان يذبح أبناءهم الذكور حال ولادتهم ويستبقي نساءهم لأعمال الخدمة[٥٤] ، وينم قتل المواليد الذكور عن رغبة حقيقية لقطع نسل بني إسرائيل تمهيدا لاجتثاثهم ولابد أن القائمين عليه كانت لديهم من الأسباب التي جعلتهم يبلغوا في العداء لنبي إسرائيل هذا الحد من القسوة والتظرف ، وقد ورد في القرآن أيضا ما يشير لهذه الأسباب ويوضحها ، فبعد سرد مباشرة لأقدام الفرعون على أفعاله الشنيعة تلك أردف قائلاً بأن الله سبحانه وعد بأنه سيمكن لبني إسرائيل في الأرض ويري ((فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ))[٥٥] .

والتمكين لبني إسرائيل تحقق عندما أنجاهم سبحانه من فرعون وجنوده وأورثهم لاحقا الأرض المباركة[٥٦] ، ويراد بها فلسطين[٥٧] ، أو ارض كنعان كما أسمتها التوراة[٥٨] .

وما كان يحذره فرعون وأعوانه من بني إسرائيل ، وحاولوا عبثاً تلافيه بالشروع بما تقدم ذكره من أعمال إجرامية ، قال فيه المفسرون أراء شتى جميعها تفضي للنتيجة ذاتها ، وهي إن الذي دفعهم لهذا الخشية إن يتسبب بني إسرائيل في نهايتهم وزوال ملكهم [٥٩] ، وهو ما صرحوا به بعد بعثة موسى(ع) وإظهاره لمعجزاته وحدث بالفعل ، عندما هلكوا غرقا في مياه البحر أثناء مطاردتهم لبني إسرائيل[٦٠] .

ولا نظن بأي حال من الأحوال أن فرعون وأشياعه كانوا يتوقعون نهايتهم بالطريقة التي أفاد بها القرآن حقاً،وألا ما جرءوا على ملاحقتهم وهم يرومون الخروج من مصر.

وفي السياق ذاته تفيد التوراة بأن فرعون خطب شعبه ، غداة ارتقاءه للعرش المصري ، قائلاً:((أنظروا كيف صار بنو إسرائيل أكثر وأعظم منا٠ تعالوا نحكم القبضة عليهم لئلا يكثروا٠ فإذا وقعت الحرب ينضمون إلى خصومنا ويحاربوننا ويسيطرون على أرضنا)) ، ولهذا شرع لتقليل أعدادهم بتسخيرهم في الأعمال الشاقة ، فلما لم يجدي ذلك نفعاً أمر بقتل أبناءهم[٦١] ٠

وبناءً على الشواهد الأثرية المكتشفة فأن رعمسيس الثاني كان منذ تسلمه العرش يتأهب لحرب الحيثيين لاستعادة كامل إمبراطورية أجداده في بلاد الشام[٦٢] ، التي أنتزع الحيثيون أجزاء كبيرة منها منذ عهد ملكهم الشهير شوبيلوليوما(١٣٨٠-١٣٤٠ق٠م)[٦٣] ، بل وأنه لإكمال المهمة تلك أتخذ عند توليه الحكم من مدينة بررعمسيس _ التي سخر بني إسرائيل في بناءها_ عاصمة له ، نظراً لبعد القديمة (طيبة) عما يجري في بلاد الشام[٦٤].

وعلى هذا ووفقاً لما جاء في القرآن والتوراة وبيناه ، فيبدو أن رعمسيس الثاني ورجال دولته تخوفوا أذا ما تركوا بني إسرائيل يتكاثرون وتزداد أعدادهم أن تنمو قوتهم ، فيستغلوا ظروف صراعات مصر الخارجية ، لاسيما على الجبهة الشمالية ، فيتحالفوا مع أعداءهم الحيثيين، أو على الأقل التحالف مع زعماء الممالك الشامية الخارجة على سلطان مصر ومن ربوع أرضها جاءوا ، مما يتيح لهم ضرب المصريين من الخلف والسيطرة على بلادهم وبالتالي الإطاحة بنظامهم السياسي٠

وذلك على غرار ما فعله الهكسوس ، فقد دخلوا جماعات صغيرة سرعان ما تكاثرت ونمت قوتها ووجدوا في ظروف مصر آنذاك فرصة سانحة لفرض سطوتهم عليها[٦٥] ٠

ولعل إصرار فرعون على عدم السماح لهم بالخروج من مصر ومحاولة منع ذلك بالقوة ، كما صرح بذلك القرآن[٦٦] ، والتوراة أيضاً[٦٧] ، ينم عن خشيته كذلك من التحاقهم بأعدائه في الشمال والاتفاق معهم على ما يضر بالمصريين ، فضلا عن كونه رأى من الخسارة أن يعفيهم من الأعمال التي سخروا بها[٦٨] ٠

ولذا فيبدو أنه وخاصة رجاله ارتأوا أن الحل الأمثل لدرء أخطارهم المتوقعة ، يكمن في إبقائهم تحت قبضتهم والشروع بإبادة نسلهم من الذكور وتسخير الرجال بالأعمال الشاقة والنساء بأعمال الخدمة ، حتى إذا ما هلك الرجال وبقي النساء وحدهن يسهل عندها دمجهن في المجتمع المصري ، فلا يبقى هناك داعياً للحذر والفزع منهم ٠

هذا وقد أفاض الأستاذ رشيد البدراوي باستعراض أدلة أخرى من القرآن والآثار المكتشفة تؤيد ما ذهبنا إليه حول هوية فرعون موسى وأسهب بالرد على المشككين في ذلك[٦٩] ، ونحن نشاركه الرأي فيما توصل له من نتائج بهذا الخصوص وفيما عرضه من حجج وبراهين قاطعة في الرد على المشككين ٠

وما يجدر ذكره بأن بني إسرائيل لم يكونوا ينعموا بحياة هانئة سعيدة قبل رعمسيس الثاني ، وأن كان فاق أسلافه في ظلمهم ، إذ يظهر من أحد نصوص التوراة أن فراعنة الدولة المصرية الحديثة شرعوا منذ أوائل دولتهم باستعباد بني إسرائيل[٧٠] ، وما ذلك على الأرجح ألا لكونهم نظروا إليهم من بقايا الهكسوس الغاصبين الذين يجب الانتقام منهم وتوقع شرهم في كل زمان وحين ٠

وعود على ذي بدء ، فأولى المؤشرات الاقتصادية لقصة موسى(ع) تفيد بأنه بعد بعثة موسى(ع) وما لاقاه من تكذيب في مصر، لاسيما من قبل فرعون(رعمسيس الثاني) ورجاله الذين نكلوا بأتباعه[٧١] ، فقد تعرضت مصر للجدب والقحط عدة مرات ، بالإضافة لهلاك معظم ثمرات غلاتها وزرعها ، تذكيرا وابتلاء من الله سبحانه لأل فرعون ، وهم قومه وأهل دينه وأشياعه من المصريين ، لكي يرجعوا لرشدهم ويؤمنوا به ، قال سبحانه:((وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ))[٧٢] ٠

ويبدو أن هذا حدث لقلة ما يجئ به النيل من مياه ، كما هو الحال في كل مرة تتعرض لها مصر القديمة لمثل هكذا ظروف قاسيه[٧٣] ، أو قريبة منها، فضلا عن شحة الأمطار أو انقطاعها ، مما ترتب عليه موت المحاصيل الموسمية التي لا تحتمل العطش طويلا مثل الحنطة والشعير والخضروات وغيرها ، فضلا عن الأعشاب ، فأصبحت الأرض مجدبة خالية من النباتات ولأعشاب ، فيما انخفض أنتاج أشجارها المعمرة إلى حد كبير، لأنها لا تموت ألا بعد انقطاع المياه عنها مدة طويلة فهي تتغذى على رطوبة الأرض ، وربما أصابتها الآفات التي تصيب كافة المحاصيل الزراعية وكانت سببا أخر للتدني الكبير في أنتاجها ٠

على انه يلاحظ من الآية اللاحقة بأنه أعقب هذه الانتكاسات التي أصابت المصريين في عصب حياتهم الاقتصادية وأوصلتهم لحد المجاعة ، أن عم الرخاء والخصب ديارهم تارة أخرى- لجريان النيل- فازدهرت أحوالهم الاقتصادية والمعيشية ((الحسنة)) ، وكان يتخللها أحيانا بعض الأزمات التي تجعل حياتهم تنقلب إلى الضد من ذلك ((السيئة)) ،

على غرار ما قدمنا ذكره ، ومن جهلهم وغرورهم أذا اختبروا بالحسنة عدوها من اختصاصهم على ما اعتادوا عليه من مثل هكذا أحوال طيبه في السابق ، وأن حدث العكس اعتبروه أمرا طارئ ونسبوه إلى شؤم موسى(ع) ومن معه ، قال تعالى:((فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ))[٧٤] ، مما يدل على أن المصريين لم يواجهوا ظروف اقتصاديه صعبة في عهد رعمسيس الثاني قبل نبوة موسى (ع) وإعراضهم عنها ، أو كانت نادرة الحدوث ولم ترقى لما شهدوه منها بعد هذه التطورات ٠

كما وإنها لم تقتصر على هذا الحد آنذاك ، فلما لم يتعظوا وكبراءهم مما أصابهم وكان لسان حالهم القول لموسى(ع) :((مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ))[٧٥] ، أرسل عليهم الحق سبحانه الطوفان والجراد والقمل العقوبة بعد الأخرى لتصيب منتجاتهم الزراعية ومواشيهم بأضرار فادحة ، ثم أعقبها سبحانه بالضفادع والدم تباعا لتعكر مأكلهم ومشربهم ، وبين كل عقوبة وأخرى كان فرعون وإشراف قومه يقطعون العهود لموسى(ع) بأن يؤمنوا به ويسمحوا لبني إسرائيل بالرحيل معه إلى حيث شاءوا إذا رفع العذاب عنهم ، فلما يتم لهم ما أرادوا إلى حين ينكثون بوعودهم ويتمادون بكفرهم وطغيانهم[٧٦] ٠

وتؤكد التوراة أن هذه العقوبات عمت مصر بأسرها وتفصل فيها ، وتضيف ما يخص الجانب الاقتصادي موت المواشي وأبكارهن[٧٧] ٠

ومن الطبيعي أن لا يسمح فرعون وكبار رجال دولته بتدوين الأحداث المتقدمة الذكر – على غرار تعتيمهم الكامل على باقي أحداث القصة – مما يبرر عدم وجود ذكراً لها في الآثار المصرية ، لكونها تسيء لهم وتحد بشكل كبير من قدر الفرعون الذي كان يدعي أنه الآلة الأعلى تارة ، والأوحد تارة أخرى[٧٨] ، وهذا ما لا يتساهلون بالمرة في أشاعته وترديده ٠

ولنا في أحداث معركة قادش خير شاهد على ذلك ، فما كاد رعمسيس الثاني لينجو من موت محقق أثناء المعركة حتى خرج ليعلن للناس ويصور على جدران معابده الشهيرة ما يفيد بأنه حقق انتصارا ساحقاً على الحيثيين[٧٩] ٠

وفي سياق قصة موسى(ع) أيضاً ، التي نحن بصددها يتعرض القرآن لغاية عالم فرعون المادي المتمثل بمصر ومواردها المائية (النيل وروافده) ، ذلك العالم الذي حاول فرعون لفت أنظار أتباعه إليه ليصرفهم من دعوة موسى(ع)، التي بدأت آياتها الكبرى

تبهر القلوب وتشد الأنظار إليها ، فقد خاطبهم قائلاً:((يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَـذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ))[٨٠] .

ومن المعروف أن النيل هو الذي أعطى نبض الحياة لمصر، أو كما قال هيرودوت: ((مصر هبة النيل))[٨١] ، ولذا من الطبيعي أن يغتر رعمسيس الثاني وكل من يملك مصر بهذا النهر المعطاء .

وفضلاً عن مصر ونيلها العظيم ، يتعرض القرآن في قمة البلاغة والاختصار الدال على تمام المعنى لما هو أدنى من ذلك مما كان بحيازة فرعون وأشراف قومه(ملئه) من المقتنيات المادية ، مثل المعادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت وغيرها، بالإضافة للبساتين والحدائق والأنعام ، ناهيك عما يتزين به المرء من أنواع الحلي وكل ما هو فاخر ونفيس من الملابس والأثاث والفرش والمراكب وغير ذلك مما يعد مالاً أو مواد للزينة ، وقد سخرها جميعاً ليصدوا عن سبيل الله الحق[٨٢] ، إذ توجه موسى(ع) إلى البارئ عز وجل منادياً:((رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ))[٨٣] .

ولكن ثمة ما يشير في القرآن إلى أن أموالهم تلك قد طمسها الحق سبحانه استجابة لدعوة موسى(ع) ، أي أنها حسب اقرب روايات المفسرين لمنطق العلم والعقل قد زالت فلم يعودوا ينتفعون بها[٨٤] ، وقد ثبت فعلا من النصوص المصرية المكتشفة إن رعمسيس الثاني (فرعون موسى) أنهك موارد الخزينة المصرية وجعلها خاوية لنفقاته الباهظة على حروبه الخارجية وأعماله العمرانية ، بحيث انه اضطر– لحاجته للأموال – إن يستخدم مواد البناء القديمة لتشييد عمائر جديدة[٨٥] ، ناهيك عن الخسائر الجسيمة التي لحقت بثروات مصر الزراعية والحيوانية ، مما تقدم ذكره[٨٦] ، وكان فرعون وملئه مالكوها الحقيقيين .

واختتم القران حديثه عن الحياة الاقتصادية للمصريين القدماء بإجمال أهم مصادر ثروات بلادهم الأساسية في عهد فرعون ، كالموارد الزراعية والمائية((جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)) ، بالإضافة للأموال المخبأة والخزائن المدفونة ((وَكُنُوزٍ)) ، وهي بأسرها كانت مصدر رفاه للأخير وأعوانه ، ولكنهم خسروها أيضاً– كما خسروا مردودها المادي– عندما قضوا غرقا أثناء مطاردتهم لبني إسرائيل[٨٧] .

وحتى الحياة الاقتصادية لبني إسرائيل في مصر، التي يندر وجود معلومات عنها[٨٨] ، نجد في القرآن ما يشير إليها، إذ أنهم قالوا إلى موسى(ع) أثناء فترة التيه: ((فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا))[٨٩] .

ويراد بالبقل، البقول وكل نبات لا ساق له كالنعناع والكراث وغيره ، في حين يرجح أن القثاء هو الخيار ، وأن الفوم هو الثوم أو الحنطة ، أما العدس والبصل فهما معروفان[٩٠] ، وفي طلب بني إسرائيل لهذه الأطعمة دلالة على اشتغالهم بالزراعة[٩١] ، وقد اعتادوا على زراعتها والتقوت بها أثناء وجودهم في مصر، وألا ما الذي دعاهم لطلبها دون سائر صنوف الغذاء ، مما يعكس بالتالي رداءة أحوالهم المعيشية بشكل عام آنذاك ، فقد أفاد أحد الباحثين بأن ما طلبوه تكون كلفته محدودة وسعره قليل لأنه يزرع على ري النيل ويشكل الغذاء الرئيس لأفراد الطبقة الفقيرة في مصر مثل العمال والخدم والفلاحين[٩٢] .

وفي قصة البقرة التي أمر الله بني إسرائيل في ذبحها ما يدل على تربيتهم للأبقار وحرصهم على عدم التفريط بها[٩٣] ، ويظهر من صناعة السامري لعجل من ذهب إن بعضهم كان يتقن صياغة الحلي والتفنن بها[٩٤] .

وروي في تفسير الآية الكريمة ، التي تشير لجانب من فضل الله عز وجل على بني إسرائيل، ((وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ))[٩٥] ، أن فرعون وإتباعه صنفوا رجال بني إسرائيل عدة أصناف في أعمال الخدمة والأشغال الشاقة ، فبعضهم لإنشاء المباني وتجهيز المواد اللازمة لها كالأحجار واللبن، وآخرين للعمل في الحقول والمزارع ، وصنف ثالث للنجارة والحدادة ، إما النساء فأبقوهن للخدمة في القصور والبيوت ومن ذلك قيامهن بغزل الكتان لهم ونسجه[٩٦] ، مما يشير لمهن جديدة أحترفها بنو إسرائيل في تلك الفترة تضاف لما تقدم، وأن كانوا مجبرين عليها ، ومن هذه المهن تذكر التوراة ما يتعلق بتسخير الرجال في أعمال البناء والزراعة[٩٧] .

على أنه وجد في مجتمع بني إسرائيل آنذاك من أثرى ثراءً غير طبيعي متمثلاً بشخص قارون ، إذ كان حمل صناديق خزائنه تشق على جمع من الرجال ذوي القوة والبأس ، أو كما قال تعالى:((وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ))[٩٨] .

ولكنه جحد نعمة الله ونسب أمواله الطائلة لعلمه ولم يسخرها في طلب الدار الأخرى والإحسان على أبناء جلدته ، كما نصحوه بذلك ، بل كانت مما دعاه لظلمهم ، وقد خرج عليهم ذات مرة بكامل حلته وزينته ليشوش عليهم إيمانهم، فأثر فعلاً في نفوس من يريد الحياة الدنيا ويميل لزخرفها وزينتها حتى قالوا:((يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)) ، ولكن الراسخين بالأيمان ذوي العلم والبصيرة منهم أنكروا عليهم هذه المقالة وردوهم قائلين:((وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ)) ، وانتهى مصيره لبغية واغتراره بالجاه والثروة أن خسف الله به الأرض وبداره ،((وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ))[٩٩] .

ولعل ما خص الله به قارون من أموال جاءت لأنه كان يتقن علم الكيمياء ، فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعله ذهبا ، أو لأنه كان حاذقاً بأعمال التجارة وسائر المكاسب[١٠٠] ، ولذا فقد نسب غناه إلى علمه كما مر أعلاه .

وأياً كان الأمر فلا شك أنه كان على علاقة وثيقة بفرعون ، مما ساعده على الوصول لما بلغه من ثراء ، ويبدو أن ما روي عن تولية الفرعون له على بني إسرائيل[١٠١] ، هو الذي يفسر طبيعة تلك العلاقة بينهما ، ويفسر أيضاً ما ورد في القرآن من ظلمه لأبناء قومه وأعظمه الائتلاف مع فرعون وهامان بتكذيب موسى(ع) واتهامه بالسحر لما جاءهم بالمعجزات والحجج البينة ، وبالمناداة معهما أيضاً بقتل أبناء الذين آمنوا بموسى(ع) واسترقاق نساءهم [١٠٢] .

المبحث الثاني: بلاد الشام :

تطرق القرآن لقصص وأخبار عدد من الأمم والشعوب القديمة التي سكنت بلاد الشام ، ومن بينها ما تناول نماذج رئيسة من حياتها الاقتصادية ، وهي مدين وبنو إسرائيل ، وسنعرضها كلً على حدا وكالآتي:

أولاً: بني إسرائيل :

أشرنا في المبحث السابق لبدايات ظهور بني إسرائيل وما توفر من معلومات في القرآن عن حياتهم الاقتصادية في المرحلة التي سبقت دخولهم فلسطين وانتهى بنا البحث عند وصولهم لصحراء سيناء بعد خروجهم من مصر .

وفي هذه الصحراء القاحلة هيأ الرزاق سبحانه لبني إسرائيل من مقومات الحياة الشيء الكثير دون تعب منهم أو كد، وفي مقدمتها المن والسلوى طعاماً طيباً سهل المنال وظلل عليهم الغمام[١٠٣] ، ليقيهم حرارة الشمس المحرقة في لهيب الصحراء الجافة .

وتفيد التوراة بأن ذلك حدث بعد خمسة عشر يوماً من حادثة الخروج وبعد أن اشتكى بني إسرائيل لموسى(ع) وهارون (عليهما السلام) الجوع وحملوهما مسؤولية ذلك لدورهما في أخراجهم من مصر، وتضيف أن المن، وهو مادة حلوة طعمها كالعسل ، كان ينزل عليهم من طلوع الفجر وحتى شروق الشمس، فيجدونه أثناء ذلك متكدس على الأرض فيجمعونه ويأكلونه، أما السلوى(طائر السماني) فكان يأتيهم عند الغروب في أسراب طويلة ويبقى على الأرض حتى يمسكوا به ، واستمروا على هذا الحال مدة أربعين سنة[١٠٤] ، أي طيلة الفترة التي قضوها في التيه[١٠٥] .

والى جانب الطعام سخرت لهم العناية الإلهية الماء الذي لم يجدوا منه حتى ما يكفيهم للشرب بعد حادثة الخروج بمدة وجيزة[١٠٦] ، فعندما خرج موسى(ع) للاستسقاء ، أي لطلب نزول المطر ، حصل على أكثر مما تمنى ، إذ انبعثت من الأرض، بمعجزة إلهيه ، أثنتا عشر عيناً لكل سبط من أسباطهم عيناً منها يشربون[١٠٧] .

وبعد انقضاء مرحلة التيه ، فمن المعلوم أن بني إسرائيل دخلوا فلسطين عبر شرقي الأردن تحت قيادة يوشع بن نون، تلاه قيام مملكتهم الأولى هناك في عهد شاؤل (١٠٢٠-١٠٠٤ق٠م) التي بلغت ذروة عظمتها في عهدي داود وسليمان (عليهما السلام) (١٠٠٤-٩٢٥ق٠م) ، ثم انقسمت بعد وفاة سليمان (ع) إلى مملكتين (إسرائيل و يهوذا) وانهارتا تباعاً، الأولى على أيدي الآشوريين سنة ٧٢١ ق٠م ، والثانية أسقطها الكلدانيين سنة ٥٨٦ ق٠م[١٠٨] .

وقد عاش بني إسرائيل في عهد داود(ع) أزهى عصورهم التاريخية على كافة الأصعدة ، وما يتعلق بالجانب ألاقتصادي عم الرخاء مملكتهم وأتسع نشاطهم التجاري مع الأمم الأخرى[١٠٩] .

وثمة ما يوحي في القرآن بهذا الرخاء ، إذ يرد فيه ما يشير لممارستهم لشتى أنواع الحرف وتعدد مصادر دخلهم ، فبالنسبة للصناعة فأكثر ما كانت تحتاجه مملكة إسرائيل الناشئة ، وهي تذود عن ذاتها وتحاول توسعة نفوذها ، وسائل ومستلزمات الحرب

الدفاعية والهجومية على حد سواء ، وقد تهيأ لهم بواسطة داود(ع) التعامل مع المادة الأساسية لصناعتها (الحديد) ، إذ أن القادر سبحانه ألان له الحديد، أي علمه على الأرجح الطرق المعروفة لأذابته[١١٠] ، مما ترتب عليه صناعته لصنف جديد من الدروع ، على شكل((رقائق متداخلة متموجة لينة يسهل تشكيلها وتحريكها بحركة الجسم ؛ وأمر بتضييق تداخل هذه الرقائق لتكون محكمة لا تنفذ منها الرماح)) [١١١] ، وقد نوه سبحانه عن ذلك في قوله مخاطباً داود(ع) :((أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ))[١١٢] ، وفي آية أخرى ورد ذكر تلك الدروع بمعنى اللبوس وأن الغرض منها وقاية مقاتلي بني إسرائيل من الأخطار أثناء القتال[١١٣] .

ويذكر بأن تعلم بني إسرائيل لصناعة الحديد في عهد داود(ع) مكنتهم من قلب هزائمهم أمام الفلستينيين[١١٤] ، إلى انتصارات باهرة وإخضاعهم ، فضلاً عن استيلائهم على عدد من الدويلات الواقعة شرقي الأردن وهي موأب وعمون وأدوم الغنية بالحديد الخام[١١٥] .

وإلى جانب الصناعة يستدل من القرآن أيضا احتراف بني إسرائيل لمهنتي الزراعة وتربية الحيوانات وطرق معالجة المشاكل الناجمة بين المشتغلين بهما ، قال تعالى:((وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ))[١١٦] .

فالحرث يقصد به الزرع أياً كان نوعه وكان لرجل من بني إسرائيل ، فيما كانت الأغنام لشخص آخر منهم وقد دخلت بستان المزارع ليلاً على الأرجح ، فأكلت من الزرع ما أكلت وأتلفت ما أتلفت ، فرفعت القضية إلى داود(ع) الذي قضى بوجوب أخذ صاحب الزرع للأغنام كتعويض له عما لحق بمزروعاته من أضرار فادحة ، لأنه رأى على ما يبدو أن قيمة الأغنام تساوي قيمة الزرع التالف ، ولكن سليمان (ع) رأى أن تسلم الأرض لصاحب الأغنام ليعمل على تعميرها وزراعتها ريثما ينمو الزرع ويعود لسابق عهده ، وبالوقت ذاته تعطى الأغنام لصاحب الأرض ليستفيد مما تنتج وتلد ، حتى إذ نضج زرعه خلال عام ردها لصاحبها واستعاد أرضه[١١٧] .

وكان حكم داود(ع) مطابقا لحكم الأنبياء(عليهم السلام) الذين قبله ، في حين أوحى الله سبحانه لسليمان (ع) بحكمه هذا وكان الأكثر رفقا وبه جرت العادة بعده للفصل بمثل هكذا قضايا ، فمنفعة الرقبة الواحدة من الغنم كل سنة تعدل قيمتها[١١٨] ، ولذلك يقول سبحانه: ((فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا))[١١٩] .

وفي مسألة التنازع على الأغنام التي أختارها الله عز وجل لطرحها على داود(ع) كقضية خصومة ، اختبارا منه سبحانه لحكمة نبيه وفطنته[١٢٠] ، ما يشير بوضوح لأهمية الماشية لدى بني إسرائيل ٠

وإثناء عهد سليمان (ع) الذي شهدت فيه المملكة الإسرائيلية أوج ازدهارها الاقتصادي وتقدمها الحضاري[١٢١] ، نجد في القرآن ما يعكس ذلك من جوانب شتى ، فقد سخر سليمان (ع) من الهدية التي أرسلتها ملكة سبأ- التي سنتحدث عنها لاحقا- لتصده عن اجتياح بلادها، وبين لرسلها أن ما آتاه الله من النبوة والملك والثروة خير مما آتاهم[١٢٢] ، وقد أفاضت التوراة في الحديث عن عظم ثروة سليمان(ع) ووصفها وخلصت للقول: ((وفاق الملك سليمان على جميع ملوك الأرض غنىً وحكمة))[١٢٣] ٠

وفي قصر سليمان(ع) الذي زارته هذه الملكة وكان فناءه من زجاج ابيض شفاف ، ((صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ))[١٢٤] ، ما يدل على معرفة بني إسرائيل آنذاك لمادة الزجاج واستخدامهم لها في الأبنية المشيدة ٠

ولا غرابة في ذلك فصناعة الزجاج كانت رائجة في فلسطين قبل مجيئهم للبلاد ، إذ أن الكنعانيين أول من أبتكر صناعتها بعد المصريين[١٢٥] ٠

ومما كانت تفعله الجن لسليمان(ع) الغوص بالماء لتستخرج له ما يشاء من حلي البحر ، قال تعالى ، وهو يشير لشيء مما وهبه لسليمان(ع) ، ((وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ))[١٢٦] ، وفي هذا ما يعطي انطباعاً لاشتغال بني إسرائيل بالغوص لاستخراج نفائس البحر أو على الأقل تسخيرهم لمن يحمل أعباءها عنهم ٠

ومن الأعمال الأخرى التي كانت الجن تقوم بها لسليمان(ع) تشييد أماكن العبادة ((مَحَارِيبَ)) والصور المعمولة من النحاس على هيئة الشجر وما أشبه))تَمَاثِيلَ)) ، وكذلك صناعة صحائف الطعام الكبيرة التي تشبه أحواض المياه ((جِفَانٍ كَالْجَوَابِ)) ويوضع فيها الطعام للجند ، وأواني الطبخ الكبيرة التي لا تتحرك من أماكنها لكبر حجمها))قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ)) وتستخدم لإطعام الجيش أيضا[١٢٧] ٠

وإذا ما علمنا بأن أدوات الطعام والصور النحاسية والمواد الأولية اللازمة لصنعها ومثيلتها الداخلة في أعمال البناء والعمران كانت معروفة لدى بني إسرائيل، لتوفر بعضها في بلادهم وجلبهم للبعض الآخر من المناطق الخاضعة لسلطانهم والبلدان الصديقة لهم، كما تفيد بذلك التوراة[١٢٨] ، فمن المنطقي الافتراض بأنه في أعمال الجن الأخيرة ما

يوحي بهذه الحقيقة ، أي رواج الحركة التجارية في المملكة الإسرائيلية آنذاك وعمران أسواقها بشتى أضاف السلع الضرورية منها والكمالية من جهة ، واستخدامهم للنحاس في الصناعة من جهة أخرى ٠

ومما يؤكد الفرضية الأخيرة قوله عز وجل عن سليمان(ع) :((وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ))[١٢٩] ، فالقطر هو النحاس وقد يكون ذلك بان الهمة الله إذابة النحاس حتى يسيل ويصبح قابلا للصب والطرق ، ليصنع منه الأواني وغيرها[١٣٠] ٠

كما وأن قيام الجن بأعمال البناء على وجه الخصوص ، ربما يعكس ما ورد في التوراة أيضاً من أتكال بني إسرائيل على غيرهم في أنجاز الشواهد الحضارية المهمة ، كالهيكل وقصر سليمان(ع) وغيرها ، لانصراف معظمهم لتولي مهام الأشراف والتوجيه والانخراط في سلك العسكرية كجنود وضباط وقادة[١٣١] ٠

وبالإضافة لما تقدم أشير لاقتناء سليمان(ع) لأجود أنواع الخيول ((الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ)) ، وهي التي تقوم على كلتا رجليها وإحدى يديها وترفع اليد الأخرى حتى تكون على أطراف الحافر[١٣٢] ٠

هذا ويجمل القرآن تعدد الموارد الاقتصادية لبني إسرائيل أبان عهد ملكهم ، وهو يعقب على الخسارة المادية لفرعون وأتباعه بعد غرقهم بالبحر ، بالقول:((فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ، كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ))[١٣٣] ٠

فهذه الموارد التي تمثل أهم مرتكزات اقتصاد مصر القديمة – المبينة سابقاً– وآلت لبني إسرائيل وفق الآية أعلاه ، لا يعني أنهم رجعوا إلى مصر بعد موت فرعون واستولوا عليها ، بل ورثوا ما يشابهها في مقام دولتهم الأولى في فلسطين[١٣٤] ، وهي كما معروف كانت إحدى الأجزاء التابعة لمصر طوال عصرها الإمبراطوري ٠

وبالنسبة للحقوق الشرعية ، فقد ورد في عدة نصوص صريحة بالقرآن أن الزكاة كانت مفروضة على بني إسرائيل[١٣٥] ، وذلك فيما أنزل على موسى(ع) في التوراة[١٣٦].

ويفيد أهل العلم والتفسير بأن زكاة بني إسرائيل لم تكن تصل لمستحقيها ، فما يزكى به ويتقبله الله كانت تنزل عليه نار من السماء فتلتهمه ، وبخلافه يبقى على حاله دون أن يمسه أحد منهم[١٣٧] ٠

ثانياً: مديـــن

وهو أسم إحدى الأمم أو الشعوب العربية القديمة، التي بعث إليها شعيب(ع) وكان من أشرفهم نسباً، وهم أنفسهم الذين نعتهم القرآن ب((أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ))[١٣٨] ، ويذكر إنهم ينحدرون من سلالة مدين بن إبراهيم(ع) ويصنفون ضمن العرب البائدة ، وقد عرفت ديارهم ببلاد مدين نسبة لهم وتقع بالقرب من معان في أطراف بلاد الشام مما يلي الحجاز[١٣٩] .

ويتضح من القرآن بأن أوضاعهم المادية والاقتصادية كانت مزدهرة إلى حد كبير ، ولا أدل على هذا من وصف شعيب(ع) لأحوالهم تلك بالقول: ((إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ))[١٤٠] .

ويشكل النشاط التجاري مصدر دخلهم الرئيس وسر النعيم الذي عاشوا فيه ، ويشار في هذا الخصوص لصلاتهم التجارية مع مصر وفلسطين ولبنان[١٤١] ، وعلى الرغم من أحوالهم الميسرة تلك شاع عندهم الغش في المعاملات التجارية في أسواقهم إلى حد كبير ، إذ كانوا يتلاعبون في قيمة الآلة التي يكيلون البضائع بها (المكيال) ومثيلتها التي يزنون البضائع بها (الميزان) ، على النحو الذي يمكنهم من بيع البضاعة بأقل من حجمها الحقيقي ، مما يؤدي لإنقاصهم لحقوق الناس وأخذ أموالهم بالباطل ، فنهاهم شعيب(ع) عن ذلك وعده من الفساد في الأرض ودعاهم بعد الإيمان بالله وتوحيده إلى ضبط المكيال والميزان لكي يعطوا كل ذي حق حقه بالكمال والتمام[١٤٢] ، لأن خلاف ذلك يعني شيوع الغش في مجتمعهم وانعدام الثقة في التعامل بين إفراده ، مما سيفضي لحلول كل ما هو ردئ أو تالف محل الجيد والصالح وإلى توقف الحركة في المجتمع من جميع جهاته ، وبالتالي هلاك الأموال والنفوس جميعا[١٤٣] ، وأبان لهم بأن الاكتفاء بالربح الحلال بعد تأديتهم حقوق الناس بالقسط أكثر بركة وأحمد عاقبة من أخذ مالهم بغير وجه حق ، وأردف محذراً من سوء العاقبة أذا لم يلتزموا بنصائحه[١٤٤] .

غير أن الذين لم يؤمنوا به سخروا منه قائلين:((أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ)) ، بل وعقدوا العزم على أخراجه والمؤمنين به ، وبلغ من تكذيبهم إياه أن تحدوه بأن يأتيهم بعذاب من السماء ((كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ))[١٤٥] ، فكانت عقوبتهم أن سلط عليهم القوي سبحانه شتى أنواع العذاب في يوم واحد[١٤٦] ، ((فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ)) وأنجى سبحانه ((شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ))[١٤٧] .

ويبدو أن نسل المؤمنين بشعيب (ع) هم الذين ذكر القران أن موسى(ع) لجأ أليهم بعد قتلة لأحد المصريين ، وكانوا حينها أصحاب ماشية كثيرة ، وقد تزوج موسى(ع) من بنات إحدى شيوخهم بعد موافقته على الاشتغال برعي أغنامه مدة ثماني أو عشر سنين[١٤٨] .

المبحث الثالث: شبه جزيرة العرب

نالت القبائل والشعوب العربية نصيب وافر من اهتمام القرآن بمختلف جوانب حياتها، ومنها الجانب الاقتصادي ، وأهم هذه القبائل والشعوب التي صرح القران بأسمائها ، أو أوحى بذلك إيحاءً لا لبس فيه ، وأفاض في الحديث عن حياتها الاقتصادية ، هي – حسب القدم – ما اصطلح على تسميتهم بالعرب البائدة أو العاربة (عاد، وثمود) ، يليها سبأ في الجنوب وأخيراً سكان حواضر الحجاز الثلاث (مكة ، المدينة ، الطائف) في الشمال ، وسنعرضها في ثلاث فقرات رئيسية وعلى النحو الآتي:-

أولاً : العرب البائدة(العاربة)

أ- عـــــــــاد

وهم قوم النبي هود (ع) ممن سكن الأرض قبل التأريخ وأول من عمرها بعد فناء البشرية أيام نوح[١٤٩] ، ويرجع نسبهم إلى عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح[١٥٠] .

وقد أشار القرآن إلى أن منازلهم كانت في الأحقاف[١٥١] ، وبما أن الأحقاف تعني الرمل ، فقد حددت منطقة سكناهم في رمال اليمن، بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر[١٥٢] .

ويرجح أن أبناء عاد كانوا بناة حضارة عريقة وعلى مقدار كبير من الثراء والغنى ، بحيث اشتهروا بتشييد القصور التي تعد أيه في العلو والارتفاع ، وذلك فوق المناطق المرتفعة (الربع) بهدف التطاول والتفاخر بالمقدرة والمهارة ، فضلاً عن الحصون والخزانات الكبيرة لجمع مياه الأمطار وكأنهم مخلدون في الحياة ، فقد وصف هود(ع) حالهم هذا بقوله مخاطباً إياهم:((أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ،وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ))[١٥٣] .

ولاشتهار عاد بالأعمدة الضخمة المنحوتة التي تقام عليها أبنيتهم الرفيعة جعلها القران صفة ملاصقة لهم ، إذ وصف هذا بقوله:((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ))[١٥٤] .

ويرجع ازدهار عاد وثراءها لبساتينها الخصبة التي تغطيها الأشجار المثمرة وثروتها الحيوانية المتمثلة بالماشية ، نظرا لغنى بلادهم بالعيون الجارية التي يخرج ماءها من

باطن الأرض وينساب على ظاهرها ، بالإضافة إلى البنين[١٥٥] ، الذين بهم تستمر دورة الحياة وتعمر الأرض وتزدهر .

ولم يدخر أبناء عاد جهدا لتوفير المياه اللازمة لري الأراضي الزراعية والارتقاء بواقعهم الزراعي ، ففضلا عن العيون الجارية ، عملوا على الاستفادة أيضا من مياه الإمطار لهذا الغرض ، فأقاموا لذلك خزانات كبيرة لجمعها ، أو ((مَصَانِعَ)) كما في الآية أعلاه ، مما يبرهن على إن الزراعة كانت عماد حياتهم الاقتصادية .

على انه روي بأن الأمطار انقطعت عنهم عدة سنين متوالية فأصابهم الجدب والقحط ، وذلك بعد إن كذبوا نبيهم ورفضوا التخلي عن عبادة أصنامهم علاوة على بغيهم وعتوهم ، مغترين بشدة باسهم وبنية أجسادهم التي لا يوجد لها نظير في أهل زمانهم[١٥٦] ، ولذا فان هودا(ع) وعدهم بان الله تعالى سينزل عليهم الأمطار بغزاره من غير أضرار((يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا)) أذا ما تابوا وامنوا به سبحانه[١٥٧] .

ولكنهم أبوا إلا الاستكبار والعناد((وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ)) ، وظنوا إن ما هم فيه من ضيق أمر طارئ سرعان ما يزول ، وهكذا عندما بانت نذر عذابهم في السماء على هيئة سحاب عارض((مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ، تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ)) ، وأنجى تعالى برحمته ((هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ))[١٥٨] .

وعبر ألاف السنين غطت الرمال المتراكمة أثار حضارة عاد حتى لم يعد يرى منها شيئا ، ولكن التنقيبات الأثرية في مناطق سكناهم التي أنجزها علماء الآثار الغربيين في تسعينات القرن الماضي كشفت عن بقايا رموز حضارتهم ، مما يطابق ما جاء من وصف لها في القران ، إذ تم العثور على قصورا وقلاع ضخمه تتميز بأعمدتها العظيمة ، فضلا عن اكتشاف نظام واسع من القنوات والسدود القديمة التي استخدمت لإرواء الأراضي الزراعية ويرجح إنها كانت قادرة على توفير المياه لحوالي مائتي إلف نسمه ، كما تم العثور أيضا على مجرى نهرين جافين قرب مساكنهم ، مما حمل أولئك العلماء على الاستنتاج بان ديار عاد والمناطق المحاذية لها كانت كلها عامرة بالزراعة[١٥٩] .

ب- ثمـــــود

وهم قوم صالح(ع) وقد ظهروا بعد عاد وكانوا مـثلهم ممـن سـكن الأرض قبـل التاريخ(١٦٠) ، وينسبون إلى ثمود بن جاثر- أو بن غاثر- بن أرم بن سام بن نوح(١٦١) ، أو إلى ثمود بن عابر بن أرم بن سام بن نوح(١٦٢) ، وتقع مساكنهم في منطقة الحجر بين الحجاز وبلاد الشام إلى وادي القرى وما حوله(١٦٣) .

ويستدل من القرآن بأنهم كانوا يعيشون حياة آمنة مستقرة في ظل بـساتينهم العـامرة بشتى أصناف الأشجار والزرع ، لاسيما النخيل ذات الطلع الذي يمتاز بالطراوة وسهولة الهضم ، لتوفر مصادر إرواءها المتمثلة بالعيون الجارية (١٦٤) ، مما يدل على خـصوبة أراضيهم وجودتها واستغلالهم لها بالزراعة المزدهرة .

ويلاحظ إن تشييدهم في ديارهم القصور في السهول ونحتهم البيوت في الجبال بمهارة وبراعة(١٦٥) ، ارتبط بنشاطهم الاقتصادي المذكور أعلاه وعوامل أخرى ، فمن المـرجح أنهم كانوا يسكنون هذه القصور في الربيع والصيف من اجـل الزراعـة والرعـي فـي السهول الخصبة ، وعند انتهاء الحصاد وحلول فصل الشتاء البارد يصعدون لبيوتهم فـي الجبال لتقيهم من السيول والعواصف والأخطار الأخرى(١٦٦) ، ولازالت بقايا تلك البيوت قائمة إلى يومنا هذا(١٦٧) .

ولقد نبههم صالح (ع) بأن النعمة والرخاء التي هم فيها لن تدوم إذا اسـتمروا علـى كفرهم بالله وعبادتهم لغيره ولأمر سادتهم وزعمائهم ((الْمُسْرِفِينَ)) طـائعين ، إذ أجـابوه قائلين:((قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ، مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَـةٍ إِنْ كُنْـتَ مِـنَ الصَّادِقِينَ)) ، وعلى الرغم أن صالح (ع) قبل تحديهم وآتاهم بالناقة آيـة لهـم مـن رب العالمين وحذرهم مما سيلحق بهم من عذاب إذا تعرضوا لها بسوء ، فقد أعرضوا ونـأوا بجانبهم وسولت لهم أنفسهم ذبح الناقة ((فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَـرُهُمْ مُؤْمِنِينَ)) ، وأنجى الحق سبحانه برحمة منه ((صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ))(١٦٨) .

ثانياً : سبـــــــأ

يبدو أن السبأئيين من الشعوب العربية العريقة الموغلة في القدم ، إذ وردت الإشـارة إليهم في نقش سومري يرجع تاريخه إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، كما ذكـروا في مصادر تاريخية أخرى أبرزها النقوش والآثار السبأية المكتشفة ، فضلاً عن القـرآن والتوراة(١٦٩) .

ومن بين مصادر تاريخ سبأ تلك الكتابات العربية الإسلامية التي أرجعتهم لأصول قحطانية ، إذ أفادت إن سبأ هو رجل من العرب خرجت من ذريته قبائل كثيرة انتشرت في كافة أرجاء شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده وإليه ينسب نسله السبئيون ، وأن أسمه الحقيقي هو عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وقد سمي بسبأ لأنه أول من سبأ من العرب[١٧٠] .

وعثر على ما يوافقها في الكتابات السبئية ، فقد نشر أحد المستشرقين ترجمة بالأحرف اللاتينية والعبرية لأصل كتابة ذكر إنها حفرت على النحاس ، جاء فيها ((عبد شمس، سبأ بن يشجب، يعرب بن قحطان))[١٧١] .

وهناك رأي أخر يفيد بأنهم كانوا في الأصل قبائل بدوية تنتقل في شمال شبه الجزيرة العربية ، ثم انحدروا إلى جنوبها في الفترة المحصورة بين القرن الثاني عشر قبل الميلاد والقرن الثامن قبل الميلاد ، على اختلاف الروايات[١٧٢] .

وعلى هذا النحو يذكر بأن ملكة سبأ ، التي ذكر القرآن قصتها مع سليمان(ع) وأشار لعظيم ثرائها[١٧٣] ، ما هي إلا ((ملكة على مملكة عربية صغيرة في أعالي جزيرة العرب، كان سكانها من السبئيين القاطنين في الشمال))[١٧٤] .

وأياً كان الأمر فأن شهرة أبناء سبأ جاءت أثناء وجودهم في الجنوب وليس في الشمال ، إذ أقاموا هناك أعظم الممالك العربية الجنوبية ، التي كان نفوذها يمتد أحياناً ليصل مناطق الشمال واستمرت قائمة حتى أسقطها الأحباش سنة ٥٢٥ للميلاد .

ويلاحظ من اهتمامهم بإنشاء السدود وتوفير المياه لأغراض الري، في مناطق سكناهم جنوب اليمن ، أن الزراعة كانت عماد حياتهم الاقتصادية[١٧٥] .

ويعد سد مأرب الشهير، أو العرم كما سماه القرآن[١٧٦] ، أشهر سدودهم وقد شيده ملوكهم الأوائل (المكارب) بالقرب من مأرب على وادي أذنه بين جبلي بلق الشمالي والجنوبي ، من أجل حجز مياه السيول والأمطار المتدفقة على وادي أذنه من المناطق المجاورة والاستفادة منها في ري مزروعاتهم ، حيث يتفرع من السد قنوات عند هذين الجبلين يتدفق الماء عبرها لإرواء الأراضي على سطح الجبلين ، فإذا اكتفوا سدوها بأبواب من خشب وحديد[١٧٧] ، مما أدى لزيادة رقعة المساحة المزروعة ، لاسيما حول

مأرب ، فأصبحنا نجد جنتين[١٧٨] ، وهما اللتان ذكرهما سبحانه بقوله:((لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ))[١٧٩] .

والجنتان هما بستانين تحتوي شتى أصناف الأشجار الغنية بالفواكه وكانت منتشرة بين ناحيتي الجبلين عن يمين السد وعن شماله ، نظراً لخصوبة تربة بلادهم واعتدال مناخها وعذوبة مياهها[١٨٠] .

وفيما يخص التجارة التي شكلت المورد الثاني في حياتهم الاقتصادية[١٨١] ، فثمة ما يشير في القران إلى رحلاتهم التجارية إلى بلاد الشام (الأرض المباركة) وكون الطريق الذي يقطعونه إليها كان آمناً في كل وقت وتنتشر على امتداده القرى العامرة التي يجاور بعضها بعضاً ، فيستريحون في واحدة ويبيتون في أخرى ، بحيث لا يحتاجون لما يتزود به المسافر من الغذاء والماء ، قال تعالى:((وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ))[١٨٢] .

إن النص القرآني هذا يقدم دليلاً مضافاً على عمق العلاقات التجارية بين شعب سبأ وبلاد الشام ، وهي العلاقات التي أرجعت التوراة تاريخها إلى القرن العاشر قبل الميلاد[١٨٣] ، فضلاً عن كونه يشير للأمر الذي ساعد كثيراً على نشوء هذه العلاقات وازدهارها ، متمثلاً بتوفر الآمان في طريق التجارة بين البلدين .

ولعل ذلك يعود لاتفاق ما توصل له السبأيون مع حكام القرى والمدن الواقعة على طول هذا الطريق الحيوي وأمن سير قوافلهم التجارية عند مرورها بديار الأخيرين ، على غرار الهدايا التي بعثوا بها لبعض الملوك الآشوريين في القرن الثامن قبل الميلاد وكانت تشتمل على الذهب والبخور والأحجار الكريمة[١٨٤] ، وكان الهدف منها على ما يبدو ضمان تدفق بضائعهم ، وأهمها البخور والعطور ، إلى بلاد الشام التي تعد حينذاك جزء من الإمبراطورية الآشورية الحديثة(٩١١-٦٠٥ ق.م) .

وكذلك على غرار الاتفاقيات المتبادلة التي أبرمتها دولة سبأ مع دول اليمن الأخرى(معين، قتبان، حضرموت) وعاصر بعضها بعضاً في حقبة معينة من التاريخ ، على الرغم من التنافس والنزاع بينها على السيادة والنفوذ ، وأمنت مصالحهم التجارية ، لاسيما تجارة البخور التي عادت على الجميع بأرباح طائلة وكان طريقها الذي يبدأ من

ميناء قنا في حضرموت يمر عبر أراضي تلك الدول[١٨٥] ، وينتهي عند غزة في بلاد الشام ومنها إلى مصر[١٨٦] .

ويتضح من القرآن بخصوص الزراعة السبأية أيضاً ، بأنه ترتب على إحدى انهيارات سد مأرب(العرم) أن أصبحت أراضي سبأ المثمرة الخصبة ، أرض سبخة لا ينبت فيها سوى النباتات ذات الطعم المر والأثل وقليل من السدر، نتيجة لاندفاع سيول السد الجارفة إلى بساتينهم وإغراقها ومن ثم لعدم قدرتهم بعد انهياره على توفير الماء اللازم لإرواء أراضيهم وزراعتها ، فجفت وأمحلت ، إذ جاء فيه بما يفيد هذا المعنى :((فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ))[١٨٧] .

ومن المعلوم حسب النقوش السبأية المكتشفة أن السد ، أو بعضه ، تعرض للتدمير عدة مرات ما بين أواخر القرن الأول الميلادي ومنتصف القرن السادس للميلاد ، نتيجة لإهماله وتراكم ترسبات الطمي في حوضه[١٨٨] .

ويبدو أن القرآن يتحدث عن أحداها ، فبعد ذكره لانهيار السد أفاد أن الحق سبحانه ، ولكفر سبأ وجحودها نعمته وبطرهم بها ، فرق جمعهم وشتت شملهم حتى أتخذ الناس من حالهم هذا مثل مضروباً لكل من عظم تشتته ، فقالوا: ذهبوا بأيادي سبأ وتفرقوا أيدي سبأ ، وذلك في قوله تعالى عنهم:((فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ))[١٨٩] .

وحادثة تفرق سبأ هذه ، التي لاشك في وقوعها ، نجد صداها أيضا في مصادر التاريخ العربي الإسلامي وفي احد النقوش السبأية ، وما يتعلق بالأولى فقد أول الإخباريون هذه الحادثة العظيمة بنزوح قبائل سبأ الرئيسية من ديارها وتفرقها في أنحاء أخرى من شبه جزيرة العرب ، فضلاً عن العراق وبلاد الشام[١٩٠] ، غير إنهم لم يعينوا تاريخا محددا لهذا النزوح الجماعي ، مما يجعل الاستدلال بروايتهم لمعرفة الوقت الذي انهار فيه السد أمرا صعبا للغاية .

وبخصوص النقش المشار إليه ، فيتضح منه أنه بعد قيام ملك سبأ شرحبيل يعفر (٤٣٠- ٤٥٥م) بإعادة بناء سد مأرب وترميمه مباشرة سنة (٤٥٠م) ، على أثر انهدامه للمرة الثالثة ، فأن السد قد تصدع ، مما أضطر الساكنين جواره إلى الفرار إلى الجبال خوف الموت[١٩١] .

ويضيف الدكتور جواد علي الذي ترجم هذا النقش إلى العربية ، أنه منذ عهد شرحبيل يعفر بدأ الناس يرحلون عن مأرب إلى مناطق أخرى أهمها صنعاء ، وعزا ذلك لما أصاب منطقة مأرب من خراب نتيجة لانهيار السد[١٩٢] .

وعليه فلا يستبعد إن ما جاء في هذا النقش عن تهدم السد والآثار الناجمة عنه ، هو ما عناه القران ، أي إن انهيار السد المذكور في الأخير حدث منتصف القرن الخامس للميلاد ، ومما يدعم هذه الفرضية الأخذ بنظر الاعتبار إن مُلك سبأ قد زال بعد عدة عقود من انقضاء عهد شرحبيل يعفر باحتلال الأحباش لليمن ، مما يحمل على الاعتقاد أن حادث تمزيق سبأ المشار إليه في القرآن لا يراد به تفريقهم فحسب ، بل وتمزيق دولتهم أيضاً .

ومع ذلك فالأمر مجرد تخمين في ضوء المعلومات التاريخية المتوفرة بانتظار ظهور نقوش جديدة ربما تحسم الجدل الدائر حول هذه المسالة الغاية في الأهمية .

والجدير بالذكر أن معظم أجزاء السد قد تلاشت تماما بعد وقت قصير من أصلاح أبرهة الحبشي له منتصف القرن السادس الميلادي[١٩٣] ، ولا زال حاله كذلك حتى أعادت بناءه دولة الأمارات العربية في ثمانينيات القرن الماضي ، نظراً للحاجة الماسة له لتطوير المناطق الشرقية من اليمن[١٩٤] .

ثالثا : الحجـــــاز

أ: مكـــــة

أقدم أشارة صريحة وردت في القران عن مكة ترجع لعهد النبي إبراهيم(ع) ، الذي يرجح انه عاش في القرن التاسع عشر قبل الميلاد[١٩٥] ، ومنها يتضح بأنه غداة وصول إبراهيم(ع) إلى مكة بصحبة زوجته وابنه الرضيع إسماعيل(ع) ، فقد كانت حينها عبارة عن وادٍ مقفر لا يسكنه أحد ولا أثر للعمران فيه ، ولذا توجه بالدعاء إلى الله قائلاً:((رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ))[١٩٦] .

ويعزى انعدام الزراعة في مكة آنذاك لافتقادها للمياه الجارية والعيون الغزيرة[١٩٧] ، فضلاً عن شحة أمطارها، بل وقد تمر عدة سنوات لا يسقط أثناءها أية أمطار عليها[١٩٨] ، مما لم يساعد على سكناها .

ولكن حال نزول أهل بيت إبراهيم(ع) بجوار البقعة التي شيد عليها الحرم لاحقاً ، بدأت مكة تتبعث للحياة شيئاً فشيئاً، فقد ذكر الأزرقي أن الماء تفجر من بئر زمزم بمعجزة إلهية لأسقاء إسماعيل(ع) الذي كاد أن يموت عطشاً ، مما شكل اللبنة الأولى لجذب السكان إلى مكة ، إذ سكنت فيها على اثر ذلك قبيلة جرهم اليمانية[١٩٩] .

ويرسم لنا القران صورة واضحة عن نشأة مكة وظهورها في تلك الفترة ، إذ يلاحظ من دعاء إبراهيم(ع) لها: ((رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا)) ، أنها لم تكن قد اكتسبت صفة البلد بعد ، ومن دعاءه لها أيضا: ((رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا)) ، أنها أصبحت بلدا كسائر البلدان[٢٠٠].

تلا ذلك بناء إبراهيم(ع) بمعاونة ابنه إسماعيل(ع) للبيت الحرام ، الذي فرض الله سبحانه حجه منذ ذلك الحين ، إذ أوحى سبحانه إلى إبراهيم(ع):((وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ))[٢٠١] .

والمنافع هي عامة لكل من حج البيت وتشمل جميع ما يتعلق بالأمور الدينية ، بالإضافة للمنافع الدنيوية وأهمها ما تشهده مكة أثناء الحج من نشاط تجاري بين سكانها والحاجين إليها[٢٠٢] .

وارتبط بموسم الحج مع مرور الزمن ظاهرة انعقاد الأسواق الموسمية ، التي عمت شبه جزيرة العرب بأسرها ، ولم يقتصر ميدان نشاطها على بيع وشراء البضائع والسلع وتبادلها ، بل كانت أيضاً محفلاً أدبياً وعلمياً وثقافياً وأهمها عكاظ ومجنة وذو المجاز ، ومما ساعد على انعقادها ورواج أنشطتها المتعددة وقوعها في الأشهر الأربعة الحرم التي يأمن الناس أثناءها على أموالهم وأنفسهم ، وهي محرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة[٢٠٣] ، وقد أشار لها القرآن دون تسميتها[٢٠٤] .

ولم تقتصر أهمية الحرم بالنسبة للاقتصاد المكي عند هذا الحد ، بل أن ازدهار مكة كمركز تجاري– كما سنلاحظ– ارتبط إلى حد بعيد بوجوده فيها[٢٠٥] ، فهناك ارتباط كامل بين الحرم المكي وتجارة مكة[٢٠٦] .

ولم يكن العامل الديني وحده الذي أسهم في توفير مستلزمات الحياة المعيشية لسكان مكة ، بل وأن عامل التجارة كان له نصيب وافر في ذلك ، فوقوع مكة في منتصف الطريق التجاري الذي يربط اليمن ببلدان الهلال الخصيب جعلها محطة استراحة للقوافل

التجارية المارة به منذ قديم الزمان ، مما دفع أهل مكة لتعاطي التجارة مع أصحابها وتقديم الخدمات اللازمة لهم[٢٠٧] ، وقد ذكر القالي بهذا الشأن أن قريشاً كانوا تجاراً ، ((وكانت تجارتهم لا تعدو حدود مكة، وإنما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم ثم يتبايعونها بينهم ويبيعونها على من حولهم من العرب))[٢٠٨] .

ويستدل من القران إن النشاط التجاري المحدود هذا يعود تاريخه لنشأة مكة وسكناها زمن إبراهيم(ع) ، فهو يدخل ضمن نطاق الرزق، الذي ذكر المفسرون أن الرحمن فرضه لقاطبة سكان مكة في كل عصر وزمان بصرف النظر عن معتقدهم الديني ، استجابة لدعوة خليله(ع)التي قال فيها:((رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ))[٢٠٩] .

وفي القرن السادس للميلاد حققت التجارة المكية نقلة نوعية في عهد زعيم قريش المشهور هاشم بن عبد مناف، إذ نجح هو وأخوته في إخراجها من نطاقها الضيق داخل حدود مكة إلى النطاق العالمي باحتكار تجارة الهند[٢١٠] ، وذلك على أثر الاتفاقيات التي عقدوها مع حكام الشام والعراق واليمن والحبشة وسمحت لقريش بالمتاجرة في بلادهم[٢١١] .

غير أن هذه الاتفاقيات ما كان لها أن تنفذ بدون أن يقوم هاشم وإخوانه باستكمالها باتفاقيات أخرى مع القبائل العربية القاطنة على طول الطرق التجارية التي تربط مكة بتلك البلدان ، لضمان عدم تعرض أبناؤها لقوافل قريش أثناء مرورها بديارهم وذلك من خلال إغراءهم بالمشاركة فيها[٢١٢] ، ومما سهل عليهم المهمة نظرة الاحترام والإكبار التي يكنها العرب لأبناء قريش ، فيعدونهم أهل الله وحماة بيته المقدس ، الذي يحجون إليه سنوياً من مختلف أنحاء شبه الجزيرة العربية للتبرك وتقديم النذور والقرابين لأصنامهم[٢١٣] ، التي وافقت قريش على نصبها داخل الكعبة وما حولها مراعاة لمصالحها التجارية معهم[٢١٤] .

وكان يجري تنظيم الرحلات التجارية المكية إلى البلدان المتقدم ذكرها بواقع رحلتين في السنة ، أحدهما شتاءً إلى العراق واليمن والحبشة ، والأخرى صيفاً إلى بلاد الشام[٢١٥] ، ولا ريب أنها حدت بشكل كبير من الضائقة الاقتصادية التي كان يمر بها معظم إفراد قريش في السابق ، ويتجلى هذا في حرص زعمائهم على أشراك الجميع ، الغني منهم والفقير ، في تلك الرحلات وكل حسب مساهمته[٢١٦] .

وقد نص القرآن على هاتين الرحلتين وبين أثرهما الفاعل للنهوض بالمستوى الاقتصادي لأبناء قريش وأسمى الاتفاقيات التي عقدتها قريش مع القبائل العربية بـــ (الإيلاف) ، ملمحاً بهذا الخصوص لأهمية البيت الحرام في إبرامها، وذلك في قوله:((لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ))[٢١٧] .

فالإطعام من الجوع كان بسبب رحلتي الشتاء والصيف ، اللتين ما كان باستطاعة قريش أن تسيرهما بأمان لولا تعظيم العرب لها لحرمها المكي ، فلا يغزونهم ولا يتعرضون لمسافر أو تاجر منهم عند مروره بديارهم ، وقد زاد هذا التعظيم بعد فشل أبرهة مساس الحرم بسوء ، فتضاعف على أثره أمن قريش في حلها وترحلها[٢١٨] .

ولذلك فمن المرجح أن أحد الدوافع الرئيسة لمحاولة أبرهة الفاشلة هدم الكعبة المشرفة ، التي ذكرها القرآن في إحدى سوره القصيرة[٢١٩] ، نزع المهابة من نفوس العرب لقريش ، فلا يرون لها حرمة أو أمناً ، مما يجعل مرور تجارتها عبر بلادهم أمراً عسيراً للغاية .

وهذا ما سيؤدي لخسارة قريش مكانتها التجارية المرموقة القائمة على التعامل بصفة الوسيط في عمليات التبادل التجاري بين الشرق والغرب[٢٢٠] ، ليحل الأحباش محلها في ذلك .

ولكن فشل حملة أبرهة على مكة ضمن لقريش بقاء أمنها وبالتالي ديمومة نشاطها التجاري الواسع، سواء كان منه ما يصحب موسم الحج أو في رحلاتها الخارجية ، ذلك النشاط الذي تلمس من القرآن أنه تكفل بتوفير كافة مستلزمات الحياة المادية لأبنائها ، قال تعالى:((أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا))[٢٢١] .

فالخطاب في هذه الآية موجه إلى قريش وثمرات كل شيء من زراعة وصناعة وغيرها تتدفق على بلادهم من كل بقاع الأرض وكأنه أمر مفروض بتدبير من الرزاق سبحانه[٢٢٢] .

وما يجدر ذكره بهذا الخصوص إن الطائف كانت تعد أهم حواضر الحجاز القديمة التي تجهز مكة بالمنتجات الزراعية والصناعية ، فقد أشير أن تجار قريش كانوا يستوردون منها الأعناب والزبيب والجلود والخمر[٢٢٣] ، بالإضافة للحنطة والسمن والعسل[٢٢٤] ، بل وذكر الحميري بأن ((أكثر فواكه مكة من الطائف))[٢٢٥] .

ولا شك أن قريشاً كانت تحتاج في مكة لأسواق مزدهرة لتسير معاملاتها التجارية ، وثمة ما يدل على وجودها وكون البضائع المتداولة فيها تردها من بلدان شتى[٢٢٦] ، ونوه

القرآن عنها في قوله على لسان كفار قريش:((وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ))[٢٢٧] .

وعلاوة على ما تقدم ، يرد في عدة نصوص قرآنية ما يفيد باستخدام قريش وسائر العرب لوسائط النقل البرية والبحرية المشهورة قديما(الإبل ، السفن) أثناء رحلاتهم وإسفارهم البعيدة[٢٢٨] ، وأحدها تتحدث عن قريش بالذات وما كان يعانيه أبناءها جراء ركوبهم البحر من مخاطر:((فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ، لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ، أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ))[٢٢٩] .

فالقرشيون هم أهل الحرم آنذاك وكانوا امنين بفضله ، بينما قبائل العرب المحيطة بهم يقتل ويسبي بعضهم بعضاً، وهم مع معرفتهم التامة بالله وإخلاصهم الدعاء له أذا تعرضوا للأخطار والشدائد أثناء ركوبهم للسفن ، يشركون بعد زوالها ووصولهم للبر للآمن [٢٣٠].

ولا ريب أن الجزء الأكبر من رحلات قريش وأسفارها تلك كانت لغرض التجارة ، فأبناء قريش كانوا يستخدمون الإبل للاتجار مع البلدان المحيطة بهم ، لاسيما مع بلاد الشام ، ويوفرونها عبر تربيتهم لها في المراعي الموجودة قرب مكة وباستئجارها من البدو أيضا ، وبالوقت ذاته كانوا يسيرون تجارتهم بحراً إلى الحبشة ومصر بواسطة سفن حبشية أو مصرية[٢٣١] .

وصحب الحياة التجارية معرفة سكان مكة للمكيال والميزان لكيل البضائع ووزنها ، ولا أدل على هذا من ذكر القرآن لهما في عدة سور مكيه[٢٣٢] ، ومن أشهر مكاييلهم المعروفة الصاع والمد والمكوك ، إما الموازين فأبرزها الرطل والمثقال[٢٣٣] .

ورافق النشاط التجاري المكي أيضا عمليات إقراض الأموال بالربا ، وفي القرآن ما يوحي بهذا ، فمما رواه المفسرون عن سبب نزول قوله سبحانه:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ))[٢٣٤] ، يتضح أن بعض أثرياء قريش كانوا يقرضون بالربا إلى بني ثقيف ، فجاء الإسلام ولهم أموال عظيمة جراء ذلك وأرادوا آخذها ، فنزلت الآية تدعوهم وسائر المتعاملين بالربا من المسلمين حينها إلى ترك ما زاد على رؤوس أموالهم[٢٣٥] .

وفي معرض تحريم الرسول(ص) للربا أشار إلى تعامل عمه العباس به ، حيث قال (ص) :((إلا أن ربا الجاهلية موضوع كله ، وأول ربا أبتدئ به ربا العباس بن عبد المطلب))[٢٣٦] .

ويذكر في تفسير قوله تعالى:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً))[٢٣٧] ، أن المقصود به الربا الفاحش الذي شاع عند العرب قبل الإسلام ، لاسيما في مكة ، وكان يؤخذ بالتضعيف والسنين، فيكون لأحدهم على الآخر دين ، فإذا لم يتمكن المدين من دفعه في الوقت المحدد يوافق الدائن على تأجيل سداده سنة أخرى مقابل أن يتضاعف المال سواء كان عيناً أو نقداً ، وهكذا يستمر الحال كلما جاء موعد السداد ولم يقض الدين ، مما يؤدي إلى تضاعفه مرات كثيرة[٢٣٨] .

ونتيجة لرواج التجارة في مكة ونجاحها على مدى قرن من الزمان تقريباً، ظهرت فيها طبقة أرستقراطية متنفذة تركزت بيدها معظم الثروات[٢٣٩] ، ويلاحظ من القرآن أن هذا الثراء أنعكس سلباً على أخلاق رموزها وموقفهم من الدعوة الإسلامية ، فقد كانوا ينظرون باحتقار لأتباع الرسول(ص) من الضعفاء والفقراء ، فيقولون عنهم: ((أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا)) ، بل واشترطوا على الرسول(ص) مقابل الاستماع لدعوته ، أن يطرد هؤلاء المستضعفين من صفوف المؤمنين[٢٤٠] ، وفيهم من لا يعطف على اليتيم ويسلبه حقه ولا يطعم المسكين أيضا ، كالعاص بن وائل والوليد بن المغيرة وأمثالهما من سادة قريش ووجهاءها الذين نزلت بحقهم هذه الآيات[٢٤١] ، ومنهم كذلك من دفعته الثروة الضخمة لأن يغتاب الآخرين ويتعهد الاستهزاء والطعن بهم ، مثل الوليد بن المغيرة الذي كانت أفعاله هذه مع الرسول(ص) سبباً لنزول سورة الهمزة[٢٤٢] .

وأحد أثرياء مكة ووجوهها البارزين ، الذي صرح القرآن باسمه في إشارة لاغتراره بأمواله الوفيرة ، هو أبو لهب، فقال عز وجل:((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ))[٢٤٣] .

وقد أجمل القرآن دور العامل الاقتصادي في توجيه الحياة اليومية لسكان مكة وفي نظرة زعمائها للبشر، وذلك في قوله:((وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ، أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ))[٢٤٤] .

فالآيات الكريمة أعلاه تشير بصراحة لتفاوت المجتمع المكي في مستواه الاقتصادي والاجتماعي على غرار المجتمعات الإنسانية الأخرى ، لحكمة إلهية اقتضت أن يحتاج بعض أفراده للبعض الآخر لكي تستمر دورة الحياة وتزدهر، ولكن سيطرة المادة على عقول زعماء مكة أعمتهم عن هذه الحقيقة وبلغت بهم حداً أن جعلوا منها معياراً لتقييم البشر حتى في أمر من يتولى النبوة ، فرأوا أن الأولى بها أحد أثريائهم وسادتهم، أو مثيله من وجوه الطائف[٢٤٥] .

أن ما تقدم من شواهد قرآنية يدل على ابتعاد المجتمع المكي عشية ظهور الدعوة الإسلامية عن القيم والمثل العليا التي نشأ عليها والقائمة على التكافل بين الأغنياء والفقراء[٢٤٦] ، إذ أصبحت المادة آنذاك المعيار الأساس الذي يحكم العلاقة بين أفراده ومكوناته ٠

ب:<u>المدينة (يثـــرب)</u>

كانت المدينة تعرف قديماً بـ (يثرب) ، فلما هاجر الرسول(ص) كره لها هذا الاسم لما فيه من لفظ التثريب ، إي المؤاخذة بالذنب ، وسماها طيبة والمدينة[٢٤٧] ، فغلب عليها أسم المدينة منذ ذلك الحين[٢٤٨] ، وبه عرفت في القران أيضا[٢٤٩] ٠

وأقدم نص أثري ذكرت فيه يثرب يرجع لعهد الدولة البابلية الحديثة(٦٠٥-٥٣٩ ق٠م)[٢٥٠]، ولكن نظراً لخصوبتها ووفرة مياهها ووقوعها على طريق التجارة بين اليمن وبلاد الشام، فلابد أنها كانت مأهولة بالسكان قبل ذلك[٢٥١] ٠

وعند مجيء الإسلام كان غالبية سكان المدينة من اليهود(بني إسرائيل) الذين نزحوا لها من فلسطين بشكل رئيس بعد تنكيل الرومان بهم سنة(٧٠م)[٢٥٢] ، فضلاً عن قبائل الأوس و الخزرج التي هاجرت من اليمن بعد هذا التاريخ بمدة غير معلومة [٢٥٣] ٠

وقد أعطى القرآن صورة واضحة عن طبيعة الحياة الاقتصادية لسكان المدينة عرباً ويهوداً، وصحيح أن معظم معلوماته تخص عصر الرسالة ولكنها تشير أيضاً لواقعهم الاقتصادي قبل الإسلام ٠

وإذا أردنا أن نبدأ باستعراض شكل العلاقة الاقتصادية بين هذين المكونين، فيطالعنا قوله عز وجل، وهو يتطرق لتسويغ بعض اليهود اخذ أموال الغير،((وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ))[٢٥٤] ٠

فأهل الكتاب المقصود بهم هنا اليهود الذين كانوا على تماس مباشر مع المسلمين في المدينة ووقف معظمهم موقف الضد من الإسلام ، وتصنفهم الآية الكريمة من حيث أداء الأمانة إلى العرب وسائر مخالفيهم في الدين (الأميين) إلى فريقين ، الأول يعيدها لأهلها مهما بلغت قيمتها ، والأخر كان ينكرها عليهم حتى لو كانت قليلة فلا يردها لهم إلا بالإلحاح والقوة ، لزعمهم أنه يجوز في شريعتهم أكل أموال من ليس على دينهم وهو الباطل الذي يعلمونه علم اليقين ، إذ ليس عندهم نص في التوراة يبيح لهم ذلك ، ولكنه أمر أخذوه من أفواه أحبارهم فقلدوهم فيه [٢٥٥] .

وتدلنا الآية السابقة أيضاً على تعامل سكان المدينة بالدينار والقنطار ، ويقصد بالأول الدينار البيزنطي الذي كان يجري التعامل به أيضاً في بقية أنحاء شبه جزيرة العرب ، أما القنطار فهو من وحدات موازينهم الأساسية [٢٥٦] ، التي لا يحد وزنها ، فهي تعادل أموال كثيرة ذهبا كانت أو فضة أو نقود[٢٥٧] .

وتمثل الزراعة عماد الحياة الاقتصادية لسكان المدينة قبل الإسلام ، لاسيما مزارع النخيل التي كان محصولها يفيض عن حاجتهم ويسمح ببيع الفائض منه[٢٥٨] ، وورد في القرآن الإشارة لهذه المزارع ، التي وصفها بالجنات على غرار مزارع الأعناب في الطائف_ أشعاراً بازدهارهما_ وما تنتجه من ثمرات وأهمها الرطب والتمر ، وكذلك ما تنتجه مزارع الأعناب من ثمرات كالعنب والزبيب ، وذلك في معرض تذكير الخالق سبحانه لسكان هاتين المدينتين خاصة والعرب عامة بالنعم التي عرفوها ، فالنخيل والأعناب من أعظم ثمار الحجاز آنذاك والمناطق القريبة منها ، قال سبحانه ، وهو يعدد جانبا من المنافع الاقتصادية الناجمة عن الأمطار ، ((فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ))[٢٥٩] .

وقد استأثرت قبائل اليهود الرئيسية (بنو النضير، بنوقينقاع، بنو قريظة) بأجود الأراضي وأخصبها[٢٦٠] ، و يرد في القران ذكر نخيل بني النضير، كما وردت الإشارة فيه لمزارع بني قريظة وما غرسوه فيها من الشجر والنبات، بالإضافة لمساكنهم وسائر ممتلكاتهم الأخرى ، كالنقود والأثاث والماشية وغيرها[٢٦١] .

وفيما يتعلق بالتجارة ، فلا أدل على معرفة أهل المدينة لها وشيوعها بينهم أن الغالبية العظمى من السور القرآنية المشتملة على لفظة تجارة وتجارتهم هي سور مدينة[٢٦٢] ، وقد روي أن القافلة التجارية التي كانت سبباً في نزول إحدى آيات سورة الجمعة ، كانت قادمة إلى المدينة من بلاد الشام[٢٦٣] ، وهي تعد أهم البلدان التي كان سكان المدينة يتزودون باحتياجاتهم منها[٢٦٤] .

على أنه يلاحظ من الآيات الأولى لسورة المطففين، وهي آيات مدنيه ، شيوع ظاهرة الغش أثناء المعاملات التجارية في أسواق المدينة ، بإنقاص حجم البضاعة المباعة كيلاً أو وزناً[٢٦٥] .

وأرتبط بالنشاط التجاري عمليات الإقراض بالربا ، إذ مارسه اليهود على نطاق واسع واشتهروا به على الرغم أنه محرم في شريعتهم ، قال تعالى يصف حالهم هذا:((وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ))[٢٦٦] .

ويشار في تفسير هذه الآية أن اليهود حرفوا التوراة ، فقيدوا نصوصها العامة في تحريم الربا في التعامل بين أبناء دينهم فحسب وأباحوا لأنفسهم أخذها من الآخرين أثناء التعامل معهم[٢٦٧] ، فقد جاء في احد نصوصها المحرفة:((لا تقرضوا إخوانكم من بني قومكم بربا يدفعونه إليكم فضة أو طعاما أو أي شيء أخر مما يقرض بالربا ، بل اقرضوا الغريب بالربا))[٢٦٨] ، ويشكل هذا بحد ذاته مظهر أخر من مظاهر تشريعهم اخذ أموال مخالفيهم بالدين .

وكان لطبيعة المدينة الزراعية فرصة ثمينة لهم للإقراض بالربا، لأن المزارعين عادة ما يحتاجون إلى اقتراض الأموال لحين الحصاد[٢٦٩] .

وإلى جانب اليهود فأن أغنياء الأوس والخزرج تعاملوا بالربا أيضاً[٢٧٠] ، ويبدو أنهم استمروا على هذا حتى بعد أسلامهم وطوال الدور المكي للدعوة الإسلامية أسوة بباقي المسلمين المتعاملين بها ، فالآيات القرآنية التي حرمت الربا تماما لم تنزل تباعاً ألا في الدور المدني للدعوة وكان خطابها موجه آنذاك إلى عامة المؤمنين من الذين لا زالوا حتى ذلك الحين يتعاملون بها [٢٧١] .

على هذا النحو فمن المرجح إن أثرياء عرب المدينة كانوا يأخذون الربا بفائدة تباع أضعاف رأس المال المقرض، على غرار المرابين من سكان مكة وسائر المرابين من أغنياء العرب في تلك الفترة ، كما سبق وبينا.

وفضلاً عما تقدم ذكره من مصادر الكسب الغير مشروعة لليهود، كشف القرآن عن مصادر أخرى، فالكثير من رجال دينهم (الأحبار) كانوا يأخذون((أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ))، ذلك إنهم((يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا))[٢٧٢] .

وتمثل هذا بما كان يتدفق عليهم سنويا من أموال وهدايا من عامة اليهود وتعمدهم تغيير صفة النبي محمد (ص) في التوراة ، لكي لا ينصرف الأخيرين للدين الجديد ، فيخسروا رئاستهم ومنافعهم المادية تلك[٢٧٣] .

ومن أكلهم لأموال الغير بالباطل أيضا الرشوة التي كانوا يأخذونها من عامة إتباعهم لتخفيف الإحكام والمسامحة في الشرائع ، وهو ما أشار له القران في قوله عنهم: ((أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ)) ، فالسحت هو المال الحرام ولاسيما الرشوة في الحكم[٢٧٤] .

ونتيجة لما صدر من اليهود من أفعال مشينة ظالمة ، كقتلهم الأنبياء وصدهم عن سبيل الله ، علاوة على أكلهم للمال الحرام – على نحو ما قدمنا ذكره – فقد حرم عليهم الحق سبحانه طيبات كانت حلً لهم ، ذكرها سبحانه في قوله:((وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ))[٢٧٥] .

فالمقصود بكل ذي ظفر هي الحيوانات التي تكون أصابعها مفصولة وغير منفرجة ، كالإبل والبط والإوز وغيرها، كما حرمت عليهم شحوم البقر والغنم إلا ما التصق منه بمنطقة الظهر أو ما حملته الأمعاء(الحوايا) وما أختلط منه بعظم ، مثل الشحم الملتصق بالقوائم والجنب والرأس والعين ، فضلاً عن شحوم الإلية لأنه على العصعص[٢٧٦] .

ومع أنه لم يرد في المصادر ما يفيد بتحديد التاريخ الدقيق لتحريم ما تقدم أعلاه على اليهود ، ولكن تحريمها بلا شك لم يكن منذ عهد نوح وإبراهيم (عليهما السلام) وانزل في التوراة على موسى (ع) ، كما أدعى علماء اليهود ، فقد أكد الحق سبحانه أن ادعاءهم هذا عاريا عن الصحة تماما وهم يعلمون بذلك[٢٧٧] .

وفي السياق ذاته يشار إلى أن اليهود عندما حرمت عليهم الشحوم عمدوا إلى بيعها والانتفاع بثمنها، فقد قال النبي الأكرم محمد(ص):((قاتل الله يهود حرمت عليهم الشحوم ، فباعوها وأكلوا ثمنها))[٢٧٨] .

وبالإضافة لما تقدم يفيد القران إن هناك من الطعام ما حرمه يعقوب على نفسه ، فشايعه اليهود((بني إسرائيل)) في هذا من بعده[٢٧٩] ، وهو على ما يرى المفسرون لحوم الإبل والعروق ، أو احدهما ، وقد اختلفوا في السبب الذي دعاه لهذا[٢٨٠] ، فارتأينا عدم الخوض فيه لكونه لا يضيف شيئا مهما لمادة البحث .

وتعد الصناعة من الأنشطة الاقتصادية الأخرى التي قامت في المدينة قبل الإسلام ونوه القران عنها أيضا ، إذ أشار لبعض الصناعات المهمة التي اشتهرت بها آنذاك ، مثل صناعة الخمر من التمر[٢٨١] ، وكان سكان المدينة ممن احترفها في تلك الآونة مستغلين وفرة إنتاجهم من التمر[٢٨٢] ، كما يرد في إحدى السور المدنية الإشارة إلى الحديد واستخداماته الداخلة في الصناعات الحربية والسلمية في كل العصور والأزمنة[٢٨٣] ، ومن ذلك بالطبع ما أتقن صنعه منها أهل المدينة قبل الإسلام ، إذ برعوا آنذاك في صناعة الدروع والأسلحة من السيوف والنبال ، واحترفها عامة اليهود وروجوا لها حتى قالوا أنهم ورثوها عن داود(ع)[٢٨٤] ، فضلا عن صناعة الآلات المرتبطة بالأعمال الزراعية ، كالفؤوس والمحاريث والمناجل وغير ذلك مما يستعمله المزارع من آلات[٢٨٥].

وفي سورة مماثله أشير لصناعة الحلي من المعادن الثمينة(الذهب ، الفضة) وصناعة الأواني والأدوات الأخرى من الحديد والنحاس والرصاص[٢٨٦]، وكلاهما شاع في المدينة أيضا في تلك الفترة ، لاسيما صناعة الحلي التي اختص بها يهود بني قينقاع وكان يقبل على شراء مصنوعاتها قاطبة أهل المدينة ، بل وكافة سكان الحجاز[٢٨٧] .

وعلاوة على ما تقدم اشتغل بعض سكان المدينة بتربية الماشية لتوفر المراعي الخصبة في ديارهم[٢٨٨] ، ويحفل القران بالحديث عن هذه الحيوانات وفوائدها المتنوعة سواء ما يتعلق بمنتجاتها الغذائية وما يستفاد منها في بعض الصناعات الحيوية ، كصنع الخيام والملابس والسجاد وغيرها ، أو استخدام بعضها كواسطة للنقل ، وذلك في سياق حديثه عن دورها الكبير في الحياة الاقتصادية والمعيشية للعرب قبل الإسلام وكافة الشعوب التي مارست وتمارس هذا النشاط الفعال في الماضي والحاضر[٢٨٩] .

ج : **الطـــــائف**

ألمح القران إلى الطائف من دون التصريح باسمها ، فقد ذهب المفسرون إلى إن كلمة القريتين الواردة فيه تعني مكة والطائف[٢٩٠] ، ومعظم سكانها قبل الإسلام وعند ظهوره من قبيلة ثقيف[٢٩١] ، التي تنتسب لقبائل قيس عيلان[٢٩٢] .

وتشكل الزراعة القاعدة الأساس التي قامت عليها الحياة الاقتصادية لسكانها، ويستدل من وصف القران لمزارع الأعناب فيها بالجنات وإشارته للثمار المستخرجة منها – كما أسلفنا– على ازدهارها من جانب ، وأهميتها الاقتصادية الكبيرة في حياة أهل الطائف من جانب أخر .

ويذكر إن هذه المزارع تعد أهم مصادر ثروتهم ، فمحصولها كان يفيض عن الحاجة ويصدرونه للمناطق المجاورة ، بل واشتهروا كذلك بتجفيف الأعناب وتحويلها إلى زبيب للمتاجرة به وتصديره بسهوله ، ومن العنب أيضا كانوا يصنعون الخمر الذي كان العرب قبل الإسلام يقبلون على شربه بشغف كبير[٢٩٣] ، وقد نوه القران عن هذه الحقائق مجتمعة في قوله : ((وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا))[٢٩٤] .

ومن الأشجار الأخرى التي اشتهرت الطائف بزراعتها وذكرها القران ، النخيل والرمان والتين ، بالإضافة لمحصول الحنطة[٢٩٥] ، فالرمان والتين من الفاكهة التي تكثر زراعتها في الطائف ، وعلى إنتاجها من الحنطة كانت تعتمد كافة حواضر الحجاز لاسيما مكة ، وكان تمرها ((يتمتع بشهرة كبيرة ، فهو تمر طري ممتلئ يوحل فيه الضرس)) [٢٩٦] .

والى جانب الصناعات المعتمدة على الإنتاج الزراعي اشتغل بعض سكان الطائف بالحدادة ، فصنعوا بعض الأسلحة التي تساعدهم في الدفاع عن مدينتهم ، مثل النبال وسكك الحديد المحماة والمنجنيق وغيرها[٢٩٧] ، وقد المح القران لمجمل الصناعات الحربية التي عرفها العرب وغيرهم من الشعوب قديما وحديثا وهو يشير إلى فوائد الحديد واستخداماته المتنوعة ، كما أسلفنا .

وعلى غرار باقي المترفين من العرب قبل الإسلام كان أثرياء ثقيف يقرضون أموالهم بالربا للمحتاجين[٢٩٨] ، بفائدة تزداد كلما عجز المدين عن سداد دينه عندما يحين اجله حتى يبلغ إضعاف رأس المال المقرض ، وهو ما أشير له في القران ونوهنا عنه عندما تحدثنا عن ربا أهل مكة ، كما سبق وبينا عند تطرقنا للموضوع ذاته المعاملات الربوية التي شاعت قبل الإسلام بين قبيلتي ثقيف وقريش وما نزل بشأنها في القران .

ولم يقتصر اهتمام القران بالنشاط الاقتصادي لأبناء الطائف في عند هذا الحد ، فما ورد في احد نصوصه عن اتخاذ النحل للجبال والمزارع مساكن لها وما تخرجه من عسل((مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ))[٢٩٩] ،لا ريب إن الطائف ممن عناها النص الكريم هذا ، فهي تتسم بوجود الجبال فيها والمناطق الزراعية أيضا .

والاهم من هذا إن تربية النحل تعد من الإعمال الهامة التي اشتهر بها سكان الطائف ، وكان العسل احد مصادر ثروتهم ، إذ كانوا يصدرونه إلى سائر بلاد العرب قبل الإسلام

وبعده لان العرب تعده من أشهى الأطعمة[٣٠٠] ، وكان من الوفرة بحيث إن الرسول(ص) فرض على إنتاجها منه ضريبة العشر عند مجيء الإسلام[٣٠١] .

وبالنظر لأنهم كانوا يربون الماشية أيضا ، فمن المنطقي الافتراض أنهم ممن خصوا بالنصوص القرآنية التي تناولت هذه الحيوانات ومنافعها المتعددة ، وتقدمت الإشارة لها ، لاسيما وقد عرفوا قديما بصناعة دبغ الجلود حتى قيل بان أكثر بضائعهم كانت من الجلود(الأديم) ، مستفيدين بذلك من ثروتهم الحيوانية الكبيرة[٣٠٢] ، ناهيك عن السمن الذي يعد من جملة البضائع التي كانوا يزودون مكة بها[٣٠٣] ، لغزارة إنتاج مواشيهم منه على الأرجح .

الخاتمـــــــة

من خلال بحثنا في القرآن عن الحياة الاقتصادية للأمم والشعوب القديمة ، توصلنا إلى جملة من النتائج الهامة ، يمكن إيجازها بالنقاط الآتية:-

١- أن جميع هذه الشعوب والأمم عاشت في العصور التاريخية القديمة السابقة للإسلام ، باستثناء عاد وثمود الذين ظهروا في عصور ما قبل التاريخ ، وقد ركزت مناطق سكناها في ثلاثة بلدان تعد مهد الرسالات السماوية الثلاث والحضارات القديمة ، وهي مصر وبلاد الشام وشبه جزيرة العرب .

٢- قدم القرآن أدلة جديدة – تضاف لما جاء في الآثار المصرية المكتشفة- عن متانة العلاقات الاقتصادية بين مصر وبلاد الشام في عهد يوسف(ع) ، أي إثناء سيطرة الهكسوس على البلدين معاً من جانب ، واستخدام المصريين آنذاك للمقايضة في معاملاتهم التجارية من جانب آخر ، كما أفاد بوجود وحدة استخدمت لكيل الطعام إثناء سني الأزمة الاقتصادية التي عصفت بمصر في تلك الآونة ، وهي الصواع(الصاع) .

وفي العهد ذاته كشف القرآن أيضاً عن تعرض الزراعة في مصر للشلل التام على مدى سبع سنوات ، لانقطاع الأمطار وانحسار مياه النيل ، مما تسبب في وقتها بأزمة غذائية حادة امتدت إلى المناطق المجاورة لمصر ، وما كان للمصريين وغيرهم تجاوزها لولا الإجراءات الاقتصادية الفعالة التي اتخذها يوسف(ع) عندما تولى الأشراف على الاقتصاد المصري قبيل وقوعها بسنوات .

٣- وفي عصر الدولة المصرية الحديثة ، فما ذكره القرآن عن الحياة الاقتصادية للمصريين إثناء ذلك يعود لحقبة حكم فرعون موسى(ع) ، الذي يؤيد ما جاء في القرآن بشأنه الرأي القائل بأنه رعمسيس الثاني ، ومنه يتبين عظيم ثروات مصر الاقتصادية في تلك الحقبة وتنوع مصادرها – كما هو الحال في كافة عصورها القديمة- مثل الموارد الزراعية والمائية والثروة الحيوانية ، بالإضافة للمعادن المدفونة تحت باطن الأرض والمستخرجة منها وسائر الممتلكات المادية الأخرى ، وقد شكلت بأسرها مصدراً لثراء فرعون ورجاله وحياة الترف التي عاشوها بالمقام الأول٠

أما عامة أفراد الشعب المصري فعاشوا آنذاك في ضنك من العيش غير متمتعين بخيراتهم الوفيرة ، نتيجة للإضرار الفادحة التي لحقت بنشاطهم الزراعي- عماد حياتهم الاقتصادية- وثروتهم الحيوانية ، الناجمة عن مشاكل الجدب والفيضان وغيرها ، وذلك بعد بعثة موسى(ع) وإعراضهم عن دعوته ، كما صرح القران بذلك ، فضلا عن النفقات الباهظة التي أنفقها فرعون لتمويل حروبه الخارجية وإعماله العمرانية وأدت حينها لإفلاس الخزانة المصرية ٠

٤- سلط القرآن الأضواء على الحياة الاقتصادية لبني إسرائيل منذ دخولهم مصر في عهد الهكسوس مروراً بخروجهم منها والمدة التي قضوها في التيه وانتهاءً بعصر مملكتهم الأولى في بلاد الشام ، ومنه يلاحظ أن بني إسرائيل انعموا بحياة أمنة مستقرة بعد دخولهم مصر ومارسوا شتى أنواع الحرف ، فبالإضافة لتربية الماشية التي كانت مهنتهم الرئيسة منذ إن كانوا في بادية الشام ، تعلموا هناك أيضا الزراعة والصياغة وتشييد المباني ٠

غير إن حياتهم انقلبت رأساً على عقب في عهد الدولة المصرية الحديثة ، لاسيما في عهد فرعون موسى(رعمسيس الثاني) الذي بلغت فيه محنتهم الذروة ، ومما يدلل على هذا إن بعض المحاصيل الرخيصة والمتواضعة ، كالعدس والبصل والثوم وغيرها ، أصبحت آنذاك غذاؤهم المعتاد ، ولم يكتفِ الفرعون بتسخير رجالهم في الأعمال الشاقة واستخدام نساءهم في أعمال الخدمة ، بل وسعى لاستئصالهم ، لخشيته إن يسيطروا على بلاده ويطيحوا بعرشه ، ولم ينجو من عقابه منهم إلا من كان عون له في ظلمهم من ذوي الجاه العظيم (قارون) ، مما دفعهم للخروج من مصر ٠

وإثناء مرحلة التيه في صحراء سيناء التي استمرت أربعين عاماً سخرت القدرة الإلهية لبني إسرائيل من أسباب الحياة ما لم يتهيأ لغيرهم من سكان الصحاري القاحلة ، إذ كان طعامهم لحوم الطير(السماني) وماده حلوة لذيذة مذاقها كالعسل (المن) وشرابهم من عيون عذبه لا ينضب ماؤها ٠

وفي عصر مملكتهم الأولى وقاعدتها فلسطين ، فما هو موجود في القرآن عن واقعهم الاقتصادي آنذاك يخص عهدي داوود وسليمان (عليهما السلام) اللذان غطيا المدة الأطول من فترة وحدتها السياسية ، ومنه يتضح أنهم مارسوا كافة الأنشطة الاقتصادية بما فيها صناعة الدروع التي كانوا بأمس الحاجة لها إثناء الحروب ، مما انعكس على تنامي قدراتهم العسكرية وازدهارهم وانتشار الحركة العمرانية في كافة أرجاء مملكتهم ، بالإضافة لمظاهر أبهة الملك وفخامته التي تعبر من جانب أخر عن الرخاء الاقتصادي الذي عاشوه في تلك الحقبة ٠

وفي العديد من الآيات القرآنية أشير لفرض الزكاة على بني إسرائيل، وهذا مما نزل على موسى (ع) في التوراة ٠

٥- تفرد القرآن بالكشف عن الواقع الاقتصادي لثلاثة من الشعوب أو الأمم العربية البائدة (مدين، عاد، ثمود) ٠

وبالنسبة لمدين فما ذكره عنهم يدل إن أوضاعهم المعيشية كانت على أحسن ما يرام وقد شكلت التجارة عصب حياتهم الاقتصادية ، غير انه شاع بينهم التلاعب بالمكيال والميزان أثناء المعاملات التجارية في أسواقهم ، إلى الحد الذي دفع نبيهم شعيب(ع) لأن يكرس جهده بالدعوة للكف عنه بعد دعوته إياهم لتوحيد الله ، لما يترتب عليه من مخاطر تقضي لانهيار مجتمعهم وتلاشيه ولكن من دون جدوى ٠

وبخصوص عاد وثمود ، فما جاء فيه عن قوة نشاطهم الزراعي الذي شكل مصدر دخلهم الرئيس ، وتربيتهم للماشية وغنى بلادهم بمصادر الري المعتمدة على مياه الأمطار ، يؤكد ما توصل له علماء الآثار والتاريخ في إن منطقة شبه جزيرة العرب كانت في عصور ما قبل التاريخ واحات خضراء ، لغزارة الأمطار التي تهطل عليها حينذاك ٠

وقد انعكس الازدهار الاقتصادي على النهضة العمرانية والحضارية التي شهدها كلا الشعبين ٠

٦ــ اثبت القرآن حقيقة ما اشتهر بالتاريخ عن حيوية وفعالية النشاط الزراعي لشعب سبأ في جنوب اليمن ، وعلى النحو الذي أصبحت فيه أراضيهم المحيطة بمأرب جنات خضراء لكثافة أشجارها وتنوعها ، نظراً لاعتمادها في الإرواء على مياه السيول المتجمعة خلف سد مأرب (العرم) الذي شيده السبأيون لارتقاء بواقعهم الزراعي ٠

كما أشار لحادثة انهيار سد مأرب ، التي يبدو أنها وقعت منتصف القرن الخامس للميلاد ، بناء على ما ذكره القرآن أيضا من نتائجها المدمرة على النشاط الزراعي للسبأيين واستقرارهم في بلادهم ومقارنة ذلك بما ورد في احد النقوش السبأيه بهذا الخصوص ٠

والمح كذلك لصلات سبأ التجارية الوثيقة ببلاد الشام ، على غرار ما هو معروف في بعض المصادر التاريخية وأهمها النقوش اليمنية ، وتفرد بتأكيد إن الطريق بين الجانبين كان آمناً والسفر عبره ميسراً لانتشار القرى العامرة المتجاورة على امتداده آنذاك ٠

٧ــ تناول القرآن حياة مكة الاقتصادية منذ نشأتها في عهد إبراهيم(ع) وحتى مجيء الإسلام، إذ لوحظ منه انعدام الزراعة فيها آنذاك لعدم توافر المياه اللازمة ، مما دفع سكانها للاعتماد على التجارة بالمقام الأول في حياتهم المعيشية ٠

واهم ما أفاد به في هذا الشأن أهمية البيت الحرام في ازدهار التجارة المكية ، إذ كشف إن هذا البيت الذي بناه إبراهيم (ع) جعل من مكة مزاراً دينياً مقدساً منذ ذلك الحين يحج الناس لها كل عام ويتعاطوا التجارة مع أهلها ، كما وانه أعطاها أمنا خاصاً عزز من أهميتها التجارية باعتبارها نقطة التقاء ومحطة استراحة للقوافل التجارية القادمة من اليمن ومثيلتها القادمة من بلاد الشام ، بل وان ما أعطاه الحرم المكي من مكانه مقدسه في نفوس العرب لسكانها هيأ لتجارة قريش في مرحلة الإيلاف المرور بأمن وسلام عبر ديارهم إلى البلدان المجاورة ولعب دور الوسيط في عملية التبادل التجاري بين الشرق والغرب ، ولذا فمن المرجح أن محاولة أبرهة الفاشلة لهدم الكعبة المشرفة كانت إحدى أولوياتها انتزاع مكانة قريش التجارية لصالح الأحباش ٠

وفي السياق ذاته اتضح من القرآن أيضا إن تجارة قريش الرابحة أدت لتحسين أوضاعها الاقتصادية ، ولكنها بالمقابل أدت لظهور طبقة ارستقراطية متنفذة احتكرت معظم الثروات ومارست لتنمية ثروتها عمليات الإقراض بالربا على نطاق واسع ، بل

وأنها عشية ظهور الدعوة الإسلامية كانت فئة مستغلة يدفعها حبها للمال لأن تدوس على كل قيم الأخلاق والتكافل الاجتماعي التي قام عليها المجتمع المكي عند ظهوره ٠

٨ــ عكس القرآن واقع الحياة ألاقتصاديه لسكان المدينة قبل الإسلام، فأشار لازدهار مزارع النخيل التي كانت تعد أشهر مزروعاتهم آنذاك ٠

وعبرت آياته المدنية عن معرفتهم الواسعة بالتجارة وأهميتها في حياتهم ، ملمحا بهذا الخصوص لصلاتهم التجارية مع بلاد الشام وما كان يتخلل المعاملات التجارية في أسواقهم من ممارسات الغش والخداع بالتطفيف بالكيل والميزان ، بالإضافة لما ارتبط بنشاطهم هذا من تعاملهم بالعملة النقدية المعروفة (الدينار) ووحدة الوزن (القنطار) ، والإقراض بالربا الذي شاع عند أثرياء اليهود والعرب على حد سواء ٠

كما شخص القرآن مصادر الكسب الغير شرعي لغالبية اليهود ، إذ أشار لتعمدهم أخذ أموال عرب المدينة وعامة من ليسوا على دينهم بوسائل شتى ، انسجاما مع العقيدة اليهودية المحرفة التي احكم بنيانها رجال دينهم(الأحبار) وتقوم على إباحة أموال ودماء مخالفيهم بالدين ، وهي العقيدة ذاتها التي أتاحت للأحبار أيضا الحفاظ على مكاسبهم المادية من عامة أتباعهم وأخذ الرشوة في الحكم منهم ٠

وكشف النقاب أيضا عن أصناف الأطعمة الحلال التي حرمها الله سبحانه على اليهود في وقت تلا نزول التوراة ،لأفعالهم المشينة ، وأصناف مماثله حرمها اليهود على أنفسهم أسوة بيعقوب(ع) ٠

ونوه القران كذلك عن ابرز الصناعات التي اشتهر بها سكان المدينة قبل الإسلام، على غرار باقي الشعوب التي احترفتها آنذاك، فضلا عن تربية الماشية وأهميتها الكبيرة في حياتهم وحياة كافة المربين لها، أو المستفيدين من منافعها ٠

٩- وكان للطائف كذلك نصيب لا باس فيه من اهتمام القران بأبرز جوانب حياتها الاقتصادية سواء ما تعلق بنشاطها الزراعي الذي شكل عماد حياتها الاقتصادية ، أو تجارتها التي اعتمدت بالأساس على تصدير الفائض من منتجاتها الزراعية ، وبالأخص الأعناب والزبيب المستخرج منها ، وما كان يصاحبها من عمليات الإقراض بالربا ، ناهيك عن أشهر صناعاتها القائمة على إنتاجها الزراعي وغيره ، بالإضافة لثروتها

الحيوانية وأبرزها النحل الذي شكل إنتاجه الكبير من العسل احد مصادر الثـروة لأبنـاء الطائف ، وكذلك الماشية التي كانوا يتاجرون بجلودها ومنتجاتها الغذائية ٠

١٠ــ وفي الختام فما قدمه القرآن من معلومات تاريخيه حول موضوع البحـث تبـرهن على انه احد مصادر دراسة التاريخ القديم ، لاسيما وان معلوماته هذه أما لها نظير فـي هذه المصادر، كما الحال بالنسبة لما ورد فيها ، وذكرتها التوراة أيـضا ، عـن الحيـاة الاقتصادية للمصريين القدماء وبني إسرائيل ، أو أظهرتها التنقيبات الأثرية ، كما حـدث مؤخراً من اكتشافها لبقايا انهار قوم عاد التي كانت تسقي مزروعـاتهم وبـاقي أثـارهم الحضارية الأخرى ، بالإضافة لما يتعلق باقتصاد سبأ وبعض جوانب الاقتصاد المصري القديم – ونوهنا عنها في الفقرات السابقة – أو لازالت ماثلة للعيان حتى الوقت الحاضر، كما هو الأمر مع بعض أثار حضارة ثمود ٠

وما تبقى منها له ما يماثله في المصادر العربية الإسلامية، ونعني بذلك مـا يخـص سكان مكة والمدينة والطائف ٠

الهوامـــــش

١- سورة الحجر ، الآية (٩) ٠
٢- سورة الحجرات ، الآية (١٣) ٠
٣- الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تقديم خليل الميس ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ج[٢٥] ، ص[ص١٦١ – ١٦٢] ؛ القرطبي ، أبي عبد الله محمد بن احمد ، الجامع لأحكام القران ،تقديم خليل محي الدين ، بيروت ،٢٠٠٣، ج[١٦] ، ص[٢٤٨] ٠
٤- أبن منظور ، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ط[١] ، بيروت ، بلا.ت ، مج١٢ ، ص[٢٧] ٠
٥- حسن ، سليم ، مصر القديمة ، ج[١] ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص[ص١٤١-١٤٢] ٠
٦- زايد ، عبد الحميد ، مصر الخالدة ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص[١٦] ٠
٧- سورة الزخرف، الآية (٥١) ؛ سورة يوسف، الآية (٢١،٩٩) ؛ سورة يونس، الآية(٨٧) ٠
٨- باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج[٢]، ط[٢] ، بغداد ، ١٩٥٥، ص[٦٥] ؛ شلبي ، احمد ، اليهودية ، ط[١٢] ، ١٩٩٧، ص[ص٦٦ – ٦٧] ؛ نجيب ، زينب ، التاريخ الحقيقي لليهود ، بيروت ، ط[٣] ،٢٠٠١، ص[٢٨] ؛ المؤمن ، ماجدة ، بنو إسرائيل والحضارة المصرية ، ط[١] ، بيروت ، ٢٠٠٧، ص[١٠٠] ٠
٩- حول مجمل الآراء التي قيلت عن فرعون موسى أو فرعون الخروج ، ينظر: بوكاي ، موريس ، التوراة والإنجيل والقران والعلم ، ترجمة حسن خالد ، ط[٣] ، بيروت ، ١٩٩٩،

ص[٢٦٨-٢٨٠]؛ البدراوي ، رشيد ، من هو فرعون موسى ، بحث منشور على شبكة الانترنت ، موسوعة الإعجاز العلمي في القران والسنة ، ص[ص٤ -٢١] .

١٠- الفيروزآبادي ، أبي طاهر بن يعقوب ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، بيروت ،٢٠٠١، ص[٢٣٧] ؛ الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القران، بيروت ، ١٩٩٤ ، ج[٥] ، ص[٣٤٠] . ودوثان هي إحدى المدن الفلسطينية الواقعة على الطريق من بيت شأت وجلعاد إلى مصر ، ينظر :- موسوعة الكتاب المقدس ، دار منهل الحياة ، لبنان ، ١٩٩٣ ، ص[١٥١] .

١١- سورة يوسف ، الآية (١٩ – ٢٠) .

١٢- سورة يوسف ، الآية (٢١) ؛ الطبطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القران ، تحقيق أياد باقر سلمان ، تقديم كمال الحيدري ، ط[١] ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ج[١١]، ص[٩٢] ؛ الشيرازي ، ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ط٢ ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، مج[٧]، ص[١٢٣] .

١٣- باقر ، طه ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص[١٨٢] ؛ علي ، رمضان عبده ، حضارة مصر القديمة ، تقديم زاهي حواس ، ج[١]، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص[٦٣٦] .

١٤- الكتاب المقدس ، ط[٤] ، لبنان ، ١٩٩٥ ، سفر التكوين ، ٣٧ :٢٩ .

١٥- ويعادل الشاقل خمسة عشرة غراما ، آي أن يوسف(ع) بيع بثلاثمائة غرام من الفضة، وهي تساوي تقريبا أربعة وتسعين درهما من دراهمنا في الوقت الحاضر ، ينظر: رضا ، محمد رشيد ، تفسير المنار ، ط[١]، بيروت ، ١٩٩٠ ، ج[١٢] ، ص[٢٢٨] .

١٦- باقر ، طه ، المصدر السابق ،ج[٢] ، ص[ص١٧٩ - ٢٦٤] ؛ عصفور ، محمد أبو المحاسن ، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ط[٢] ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص[ص١١٤- ١١٥ ، ١٦٢] .

١٧- الزمخشري ، محمود بن عمر ، تفسير الكشاف ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ج[٢] ، ص[٣٣٤] .

١٨- إذ عثر على لوحة أثرية يستدل منها أن يوسف(ع) دخل مصر وأودع السجن في أيام حكمه ، مما يعني أنه صاحب هذه الرؤية ؛ للمزيد من التفاصيل ، يراجع: النجار، عبدالوهاب ، قصص الأنبياء ، بيروت ، بلا.ت، ص[٢٠١]، نقلا عن: المؤمن ، ماجدة ، المصدر السابق ، ص[١١٥] .
وهو احد أشهر ملوك الهكسوس وحكم مصر أكثر من أربعين عاما ، وفي أواخر عهده أعلن أمراء طيبة الثورة لطرد الهكسوس من بلادهم ، ينظر: بوترو ، جين ، وآخرون ، الشرق الأدنى القديم ، الحضارات المبكرة ، ترجمة عامر سليمان ، الموصل ، ١٩٨٦ ، ص[٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧، ٣٩٨] .

١٩- الآية (٤٣،٤٦) .

٢٠- حول هذه الأزمات وانعكاساتها السلبية على المجتمع المصري ، يراجع : عثمان ، عبد العزيز ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ج[١]، ط[١] ، بيروت، ١٩٦٧، ص[ص٩٤-٩٥،١٥٩] .

٢١- وذلك بعد أن عرض عليه الملك ما شاء من مناصب ومنحه ثقته الكاملة ، إذ قال له:((إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ)) ، ينظر : سورة يوسف ، الآية ، (٣٥-٣٦ ، ٤٦-٤٨، ٥٠-٥١ ، ٥٤ – ٥٥) .

٢٢- سورة يوسف ، الآية (٥٥) ؛ الزمخشري ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص[٣٥٥] ؛ ابن كثير ، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ، تفسير القران العظيم ، ط[١] ، الكويت ، ١٩٩٨، مج [٢]، ص[ص٦٢٦- ٦٢٧] ؛ الشيرازي ، المصدر السابق ، مج[٧] ، ص[١٧٤] ٠

٢٣- سورة يوسف ، الآية (٨٨) ٠

٢٤- مغنيه ، محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ج[٤] ، بيروت ، ط[١] ، ١٩٦٩ ، ص[٢٩٧] ٠

٢٥- سورة يوسف ، الآية (٥٦) ؛ مغنية ، محمد جواد ، التفسير المبين ، بيروت ، بلا. ت ، ص[٢٦١] ٠

٢٦- المؤمن ، ماجدة ، المصدر السابق، ص[١٢٩] ٠

٢٧- سورة يوسف ، الآية (٤٧) ؛ البغوي ، أبي محمد الحسين بن مسعود ، معالم التنزيل في التفسير والتأويل ، ط[١] ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، مج[٣] ،ص[١٧٠] ؛ الطبرسي ، المصدر السابق ، ج[٥]، ص[٣٦٨] ؛ الطبطبائي ، المصدر السابق ، ج[١١] ، ص[١٥٩] ٠

٢٨- سفر التكوين ، ٤٠:٥٠ ٠

٢٩- سورة يوسف ، الآية (٤٧) ؛ القرطبي ، المصدر السابق ، ج[٩]، ص[١٤٣] ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، مج[٢]، ص[٦٢٥] ٠

٣٠- المؤمن ، ماجدة ، المصدر السابق ، ص[١٢٩] ٠

٣١- ابن كثير ، المصدر السابق ، مج[٢] ، ص[ص٦٢٤-٦٢٨،٦٢٥] ٠

٣٢- سورة يوسف ، الآية (٥٨ – ٥٩، ٦٩-٧٠،٨٨) ٠

٣٣- الطبري ، المصدر السابق ، ج[١٣]، ص[٨٢] ٠

٣٤- باقر ، طه ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص[١٨١] ٠

٣٥- سورة يوسف ، الآية (٥٩-٦٠، ٦٣، ٦٥، ٨٨) ٠

٣٦- الجزائري ، أبو بكر ، أيسر التفاسير لكلام العلي القدير ، بيروت ، بلا . ت ، ج[٢]، ص[٨١١] ٠

٣٧- سورة يوسف ، الآية (٧٠،٧٢) ؛ الطبطبائي ، المصدر السابق ، ج[١١] ، ص[١٨٥] ٠

٣٨- سورة يوسف ، الآية (٦٢ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٨٨) ٠

٣٩- مغنيه ، محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ج[٤] ، ص[٣٣٣] ٠

٤٠- باقر ، طه ، المصدر السابق ،ج[٢] ، ص[١٨١] ؛ علي ، رمضان عبده ، المصدر السابق ، ج[١]، ص[٦٣٦] ٠

٤١- سورة يوسف، الآية (٤٩) ؛ الطوسي ، أبي جعفر محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القران ، تقديم أغا بزرك الطهراني ، تحقيق وتصحيح احمد حبيب العاملي ، بيروت ، بلا . ت ، ج[٦] ، ص[١٥١] ؛ الرازي، محمد فخرالدين، تفسير الفخر الرازي ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ج[١٨] ، ص[١٥٤] ؛ الطبطبائي ، المصدر السابق ، ج[١١] ، ص[١٦٠] ٠

٤٢- سورة يوسف ، الآية (٩٩ – ١٠٠) ٠

٤٣- وتقع في القسم الشمالي الشرقي من مصر من الحد الجنوبي لأرض كنعان إلى نهر النيل، وتعرف اليوم بمحافظة الشرقية من جوار أبو زعبل إلى البحر ، يراجع : سوسه ، احمد ، العرب واليهود في التاريخ ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص٦٣ .

٤٤- سفر التكوين ، ٤٦:٢٨ ، ٣٢-٣٤ .

٤٥- حتي ، فيليب ، تاريخ سوريه ولبنان وفلسطين ، ترجمة جورج حداد وعبد المنعم رافق ، ج١ ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٥٨ ، ص١٩١ .

٤٦- باقر ، طه ، المصدر السابق ، ص٢٨٣ - ٢٨٤ ؛ البدراوي ، رشيد ، المصدر السابق ، ص٢١ .

٤٧- سورة القصص ، الآية (٨-٩ ، ١٤) .

٤٨- الرازي ، المصدر السابق ،ج٢٤، ص٢٣٣ ؛ البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصرالدين عبدالله بن عمر ، تقديم محمود عبدالقادر ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠١ ، ج٢ ، ص٧٤٧ .

٤٩- ينظر: سورة الأعراف ، الآية (١٠٣ - ١٣٦) ؛ سورة الشعراء ، الآية (١٠ -٦٦) ؛ سورة القصص ، الآية (٢١ - ٤٠) ؛ سورة يونس ، الآية (٧٥-٩٠) .

٥٠- البيضاوي ، المصدر السابق ، ج٢، ص٧٤٧ .

٥١- الأحمد ، سامي سعيد ، الرعامسه الثلاث الأوائل ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص٩١ .

٥٢- سفر الخروج ، ١ : ١٢ .

٥٣- سورة الأعراف ، الآية (١٢٩) ؛ الرازي ، المصدر السابق ، ج٧، ص٢٢٢ ؛ الطبرسي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٣٠٩ .

٥٤- سورة القصص ، الآية (٤) ؛ الشيرازي ، المصدر السابق ، مج١٢ ، ص١٢٩ ؛ الجزائري ، أبو بكر ، المصدر السابق ، ج٤، ص٣٣١٣ .

٥٥- سورة القصص ، الآية (٥ - ٦) .

٥٦- سورة الأعراف ، الآية (١٣٦ - ١٣٧) .

٥٧- الطبطبائي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص١٩١؛ مغنيه ، محمد جواد ، التفسير المبين ، ص١٧٧ .

٥٨- سفر التكوين ، ١٢ : ٨ ؛ سفر الخروج ، ٣ : ١٨ ؛ ١٣ : ٦ ؛ ٣٤ : ١١ .

٥٩- حول مجمل هذه الآراء ، يراجع : الطبري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٥٤ - ٣٥٥ ؛ الرازي ، المصدر السابق ، ج٢٤ ، ص٢٢٦ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، مج٣ ، ص٥٠١ ؛ الطبطبائي ، المصدر السابق ، ج١٦ ، ص٨ ؛ الشيرازي ، المصدر السابق ، مج١٢، ص ص١٢٩ ، ١٣٠ .

٦٠- سورة الأعراف ، الآية (١٠٩ - ١١٠) ؛ سورة يونس ، الآية (٧٨) ؛ سورة طه ، الآية (٦٣) ؛ سورة الشعراء ، الآية (٣٥ ، ٥٧ - ٥٩ ، ٦٥ - ٦٦) ؛ سورة القصص ، الآية (٨، ٤٠) .

٦١- سفر الخروج ، ١ : ١٠ - ١١ .

٦٢- حول الخطوات التي اتخذها رعمسيس الثاني مطلع حكمه لاستعادة السيطرة على بلاد الشام وطرد الحيثيين منها ، ينظر : برستد ، جيمس هنري ، تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسي سنة ٥٣٢ ق.م ، ترجمة حسن كمال ، ط[١] ، القاهرة ، ١٩٢٩ ، ص[٢٨٣] .

٦٣- وذلك باستعمال القوة ضد أتباع مصر في بلاد الشام حينا والتلويح بها حينا أخر ، منتهزين فرصة عزوف فراعنة مصر آنذاك عن الاهتمام بالشؤون الخارجية ؛ للمزيد من التفاصيل ، يراجع : السعدون ، عبدالغني غالي ، التنافس الحيثي – المصري على بلاد الشام أبان العهد الإمبراطوري المصري (١٥٧٠ – ١٠٨٠ ق.م) ، رسالة دكتوراه غير منشوره ، بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص[ص٩٧- ١٠٥] .

٦٤- عصفور ، محمد أبو المحاسن ، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، البصرة ، ١٩٦٢ ، ص[١٤٢] .

٦٥- فركوتز ، جان ، مصر القديمة ، ترجمة الياس الحايك ، لبنان ، ١٩٧٢ ، ص[٦٨] ؛ زايد ، عبد الحميد ، المصدر السابق ، ص[٤٤٤] .

٦٦- سورة الأعراف ، الآية (١٣٤ – ١٣٥) ؛ سورة الشعراء ، الآية (٥٢ – ٥٣ ، ٦٠ – ٦١) .

٦٧- سفر الخروج ، ٣ : ١٩ – ٢٠ ؛ ٤ : ٢٢ – ٢-٢٤ ، ٥ : ٢ – ٦ ؛ ١٤ : ٦ – ١١ .

٦٨- شلبي ، احمد ، المصدر السابق ، ص[٧٢] .

٦٩- البدراوي ، رشيد ، المصدر السابق ، ص[ص١٢- ٢١] ؛ وصفان لفرعون موسى من القران الكريم ، بحث منشور على شبكة الانترنت ، موسوعة الإعجاز العلمي في القران والسنة ، ص[ص١ - ١٢] .

٧٠- إذ جاء فيها أن الرب خاطب إبراهيم(ع) قائلا:((اعلم جيدا أن نسلك سيكونون غرباء في ارض غير أرضهم. فيستعبدهم أهلها ويعذبونهم أربع مئة سنة)) ، يراجع: سفر التكوين ، ١٥: ١٤ .وتشمل هذه الفترة مدة مكوث بني إسرائيل في مصر منذ بدايات عصر الدولة المصرية الحديثة وحتى نهاية عهد رعمسيس الثاني(١٥٧٠– ١٢٣٢ ق.م) ، وما تبقى منها تمثل المدة التي قضوها هناك في عهد الهكسوس ، ولأن مدة الاستعباد هي الأطول فيبدو إن التوراة جعلت حياة بني إسرائيل في مصر كلها على هذه النحو ، لاسيما وإنهم عاشوا في كلا العهدين غرباء .

٧١- سورة الأعراف ، الآية (١٠٣ – ١٢٧) ؛ سورة يونس ، الآية (٨٣) ؛ سورة الدخان ، الآية (١٧ – ٢١) .

٧٢- سورة الأعراف ، الآية (١٣٠) ؛ الطبري ، المصدر السابق ، ج[٩] ، ص[ص٣٣ – ٣٤] .

٧٣- عصفور ، محمد أبو المحاسن ، معالم حضارات الشرق ، ص[١٠٢] .

٧٤- سورة الأعراف ، الآية (١٣١) ؛ الطبطبائي ، المصدر السابق ، ج[٨]، ص[٢٢٨] .

٧٥- سورة الأعراف ، الآية (١٣٢) .

٧٦- سورة الأعراف ، الآية (١٣٣ – ١٣٥) ؛ الفيروزابادي ، المصدر السابق ، ص[١٦٦] ؛ الرازي ، المصدر السابق ، ج[١٤] ، ص[ص٢٢٦ – ٢٢٧] .

٧٧- سفر الخروج، ٧ : ١٨ ؛ ٨ : ٣، ١٤ ، ٢١ ؛ ٩: ٧ ، ١١ ؛ ١٠ : ١٥ – ١٦؛ ١١: ٦ .

٧٨- انظر: سورة القصص ، الآية(٣٨) ؛ سورة النازعات ، الآية(٢٤) .

٧٩- Steindorff , G. , Seele , K. , when Egypt ruled the east , London , 1968 , P.251

٨٠- سورة الزخرف ، الآية (٥١) .

٨١- هيرودوت، هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر ، تقديم احمد بدوي ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص[٤٦] .

٨٢- الجزائري ، أبو بكر ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص[٧٢٩] .

٨٣- سورة يونس ، الآية (٨٨) .

٨٤- سورة يونس ، الآية (٨٨- ٨٩) ؛ الطبطبائي ، المصدر السابق ، ج[١٠] ، ص[٨٩] ؛ رضا ، محمد رشيد ، المصدر السابق ، ج[١١] ، ص[٣٩٦] ؛ الجزائري ، أبو بكر ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص ص٧٢٩-٧٣٠ .

٨٥- الأحمد ، سامي سعيد ، المصدر السابق ، ص[١١٤] .

٨٦- رضا ، محمد رشيد ، المصدر السابق ، ج[١١] ، ص[٣٩٦] ؛ الخطيب ، عبدالكريم ، التفسير القرآني للقران ، القاهرة ، بلا .ت ، ج[٦] ، ص[١٠٧٠] .

٨٧- سورة الشعراء ، الآية (٥٧-٥٨) ؛ سورة الدخان ، الآية (٢٥-٢٨) ؛ الطبري ، المصدر السابق ، ج[١٩] ، ص[٨٥] ؛ ج[٢٥] ، ص[١٤١] ؛ الطوسي ، المصدر السابق ، ج[٨] ، ص[٢٥] ؛ ج[٩] ، ص[٢٣٢] .

٨٨- وافي ، عبد الواحد ، اليهودية واليهود ، ط[٥] ، مصر ، ٢٠٠٥ ، ص[١٢٠] .

٨٩- سورة البقرة ، الآية (٦١) .

٩٠- الجوهري ، أبي نصر إسماعيل بن حماد ، الصحاح ، تحقيق شهاب الدين أبي عمرو، ط[١] ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ج[١] ، ص[١٠٣]؛ ج[٢] ، ص ص١٢٣٢، ١٤٧٨ ؛ القرطبي ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص ص٣٤٤، ٣٤٦ ؛ مغنية ، محمد جواد ، الكاشف ، مج[١] ، ط[١] ، بيروت ، ١٩٦٨، ص[١١٥] .

٩١- الزمخشري ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص[١١٤] .

٩٢- المؤمن ، ماجدة ، المصدر السابق ، ص[٣١٥] .

٩٣- سورة البقرة ، الآية (٦٧ – ٧٣) .

٩٤- سورة الأعراف ، الآية (١٤٨) ؛ ابن حيان ، محمد بن يوسف ، البحر المحيط في التفسير ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ج[٥] ، ص[١٧٦] ؛ الطبطبائي ، المصدر السابق ، ج[٨] ، ص[٢٠٧] ؛ الجزائري ، أبو بكر ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص[٥٦٩] .

٩٥- سورة البقرة ، الآية (٤٩) .

٩٦- ابن حيان ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص [١٣٣] .

٩٧- سفر الخروج ، ١٤:١ .

٩٨- سورة القصص ، الآية (٧٦) ؛ الزمخشري ، المصدر السابق ، ج[٣] ، ص[٣٢٤] ؛ الشيرازي ، المصدر السابق ، مج[١٢] ، ص[٢١٠] .

٩٩- سورة القصص، الآية(٧٧-٨٢) ؛www.ibtesam.com ، قطب ، سيد ، في ظلال القران ، ج[١١]،ص ص[٥١-٥٦] .

١٠٠- الزمخشري ، المصدر السابق ، ج[٣] ، ص[٣٢٥] ؛ الطبرسي ، المصدر السابق ، ج[٧]، ص[٤١٠] .

١٠١- البغوي ، المصدر السابق ، مج[٤] ، ص[٢٠٧] ؛ الزمخشري ، المصدر السابق ، ج[٣] ، ص[٣٢٤] .

١٠٢- سورة القصص ، الآية (٧٦) ؛ سورة غافر، الآية(٢٣-٢٥) ؛ الطبري ، المصدر السابق ،ج[٢٤] ، ص ص[٦٢-٦٣] ؛ القرطبي ، المصدر السابق ، ج[١٥] ، ص ص[٢٢١- ٢٢٢] .

١٠٣- سورة البقرة ، الآية (٥٧) .

١٠٤- سفر الخروج ، ١٦ : ٢ – ٤ ، ١٣ – ١٤ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٣١ ، ٣٥ .

١٠٥- سورة المائدة ، الآية (٢٦) .

١٠٦- التوراة ، سفر الخروج ، ١٧ : ٢ .

١٠٧- سورة البقرة ، الآية (٦٠) ، الرازي ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص ص[١٠٢ ، ١٠٥] ؛ القرطبي ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص ص[٣٤١،٣٣٩- ٣٤٢] .

١٠٨- للمزيد من التفاصيل عن المملكه الأسرائيلية الأولى منذ قيامها وحتى سقوطها ، يراجع : باقر، طه ، المصدر السابق ، ص ص[٢٨٤- ٢٩٦] .

١٠٩- طنطاوي ، محمد سيد ، بنو إسرائيل في القران والسنة ، ج[١] ، ط[١] ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص[٤٧] .

١١٠- سورة سبأ ، الآية (١٠) ؛ السعدي ، عبدالرحمن بن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق عبدالرحمن بن معلا ، ط١ ،بيروت ، ٢٠٠٠، ج[١] ، ص[٥٢٨] .

١١١- ويروى إن الدروع كانت تصنع قبل داود(ع) على هيئة صفائح ، فكانت تثقل الجسم وتصلبه ، ينظر: قطب ، سيد ، المصدر السابق، ج[١١]، ص[١٣] .

١١٢- سورة سبأ ، الآية (١١) ؛ قطب ، سيد ، المصدر السابق ، ج[١١]، ص[١٣] .

١١٣- سورة الأنبياء ، الآية (٨٠) ؛ الفيروزابادي ، المصدر السابق ، ص[٣٢٨] ؛ الطبري ، المصدر السابق ، ج[١٧] ، ص[٦٤] ؛ الطوسي ، المصدر السابق ، ج[٧]، ص[٢٦٩] .

١١٤- وهم من قبائل شعوب البحر الذين نزحوا من مواطنهم الأصلية في جزيرة كريت وسواحل بحر أيجه ونزلوا على الساحل الفلسطيني مطلع القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، وقد شكلوا طيلة القرن الحادي عشر قبل الميلاد العقبة الأكبر بوجه بني إسرائيل للسيطرة على فلسطين ، التي سميت باسمهم ، للمزيد من التفاصيل ، يراجع : موسوعة الكتاب المقدس ، ص ص[٢٣٣ ، ٢٣٥] ؛ عثمان ، عبد العزيز ، المصدر السابق ، صص[٤٤٩ – ٤٥١] .

١١٥- باقر ، طه ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص[٢٨٧] .

١١٦- سورة الأنبياء ، الآية (٧٨) .

١١٧- الطوسي ، المصدر السابق ، ج٧، ص٢٦٧؛ الطبطبائي ، المصدر السابق ، ج١٤ ، ص ص٢٥٣- ٢٥٥ ؛ الشيرازي ، المصدر السابق ، مج١٠ ، ص١٤٨ .

١١٨- الطبطبائي ، المصدر السابق ، ج١٤ ، ص٢٥٩ .

١١٩- سورة الأنبياء ، الآية (٧٩) .

١٢٠- سورة ص ، الآية (٢٣ – ٢٤) ؛ الطوسي ، المصدر السابق ، ج٨، ص ص٥٥٣- ٥٥٥ ؛ الطبرسي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص٣١٤ ؛ الشيرازي ، المصدر السابق ، مج١٤ ، ص ص٣٤٩- ٣٥٠ .

١٢١- باقر ، طه ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٨٩ .

١٢٢- سورة النمل ، الآية (٣٦) ؛ الطبطبائي ، المصدر السابق ، ج٢٤ ، ص٢٠١ .

١٢٣- سفر الملوك ، ١٠ : ١٥ – ٢٤ .

١٢٤- سورة النمل ، الآية (٤٤) ؛ الرازي ، المصدر السابق ، ج٢٤ ، ص٢٤٦ ؛ الشيرازي ، المصدر السابق ، مج١٢ ، ص ص٥٩- ٦٠ .

١٢٥- باقر ، طه ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٤٦ .

١٢٦- سورة ص ، الآية (٣٧) ؛ الطبري ، المصدر السابق ، ج٢٣ ، ص١٧٣ ؛ الطوسي ، المصدر السابق ، ج٨، ص٥٦٥ .

١٢٧- سورة سبأ ، الآية (١٢- ١٣) ؛ الطبرسي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص ص١٧٧ ، ١٧٥ .

١٢٨- سفر الملوك ، ٥ : ٢٥ ؛ ٦ : ٨ ، ١٤ – ١٥ ، ٤٠ – ٤٧ .

١٢٩- سورة سبأ، الآية(١٢) .

١٣٠- قطب، سيد، المصدر السابق، ج١١، ص١٤؛ السعدي ، المصدر السابق ، ج١، ص٦٧٧ .

١٣١- سفر الملوك ، ٩ : ٢٠ – ٢٣ .

١٣٢- سورة ص ، الآية (٣١) ؛ الطبري ، المصدر السابق ، ج٢٢ ، ص١٦٥ ؛ الطوسي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص٥٥٩ .

١٣٣- سورة الشعراء ، الآية (٥٧ – ٥٩) .

١٣٤- قطب ، سيد ، المصدر السابق ، ج١٠ ، ص٢٠ .

١٣٥- سورة البقرة ، الآية(٨٣) ؛ سورة المائدة ،الآية (١٢) ؛ سورة الأعراف ، الآية (١٥٦) ؛ سورة البينة ، الآية (٥) .

١٣٦- سفر الخروج ، ٢٢:٢٨-٢٩ .

١٣٧- الطبري، المصدر السابق ، ج١ ، ص٥٠٥ ؛ الطبرسي، المصدر السابق، ج١ ، ص٢٤٩ .

١٣٨- سورة الشعراء ، الآية (١٧٦) ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، مج٢ ، ص٣١٠ ؛ مج٣ ، ص٤٥٦ . والأيكة هي شجرة أو شجر ملتف كالغيضة كانوا يعبدونها ، ينظر : ابن كثير ، المصدر السابق ، مج٣ ، ص٤٥٦ .

١٣٩- ابن كثير ، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ، البداية والنهاية ، ج١ ، ص١٥٤ ؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ط٢ ، بيروت ، ٢٠٠٣، مج٢، ص٥٠ .

١٤٠- سورة هود ، الآية (٨٤) .

١٤١- الشيرازي ، المصدر السابق ، ج[٧] ، ص[٢٦] .

١٤٢- سورة الأعراف، الآية(٨٥) ؛ سورة هود، الآية (٨٤ – ٨٥) ؛ الالوسي ، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود ، روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، بيروت ، ١٩٩٧، ج[٨]، ص[٢٦٢] ؛ ج[١٢]، ص[ص١٧٣ – ١٧٤] .

١٤٣- الطبطبائي ، المصدر السابق ، ج[٨] ، ص[١٩٥] .

١٤٤- سورة هود ، الآية (٨٦) ؛ القرطبي ، المصدر السابق ، ج[٩] ، ص[٧٣] .

١٤٥-سورة هود ، الآية (٨٧) ؛ سورة الأعراف ، الآية (٨٨) ؛ سورة الشعراء ، الآية (١٨٧) .

١٤٦- وهي الرجفة والصيحة وعذاب يوم الظلة ، يراجع : سورة الأعراف ، الآية (٩١) ؛ سورة هود ، الآية (٩٤) ؛ سورة الشعراء ، الآية (١٨٩) . وذلك انه أصابهم حر شديد ، تلاه ظهور سحابة من السماء فخرجوا ليستظلوا تحتها ، فنزلت عليهم صاعقة من السماء بصوتها المفزع وزلزلت الأرض تحت إقدامهم فهلكوا جميعا ، ينظر: الشيرازي ، المصدر السابق ، مج[١١] ، ص[٣٢٤- ٣٢٥] .

١٤٧- سورة هود ، الآية (٩٤) .

١٤٨- سورة القصص ، الآية (٢٢ – ٢٨) ؛ الطوسي ، المصدر السابق ، ج[٨] ، ص [ص١٤١-١٤٣] ؛ ابن كثير ، تفسير القران ، مج[٣] ، ص[٥٠٧] .

١٤٩- الطبطبائي ، المصدر السابق ، ج[١٠] ، ص[٢٤٢] .

١٥٠- اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب ، تاريخ اليعقوبي ، بيروت ، بلا. ت ، ج[١] ، ص[٢٢] ؛ الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك ، ط[١] ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ج[١] ، ص[١٣٣]؛ ابن حزم ، أبي محمد علي بن احمد ، جمهرة انساب العرب ، ط[٤] ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص[٤٦٢] . وارجع الهمداني نسبهم إلى عاد بن عاديا بن سام بن نوح ، يراجع : الهمداني ، أبي محمد الحسن بن احمد ، كتاب الإكليل ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، ج[١] ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص[٨٠] .

١٥١- سورة الاحقاف ، الآية (٢١) .

١٥٢- المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق سعيد محمد اللحام ، ط[١] ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ، ج[٢] ، ص[١٣٩] ؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ج[١] ، ص[١٠١] ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، مج[٢] ، ص[٢٤] ؛ سالم ، السيد عبدالعزيز ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص[٧٤] .

١٥٣- سورة الشعراء ، الآية (١٢٨ – ١٢٩) ؛ الألوسي ، المصدر السابق ، ج[١٩] ، ص ص[ص١٦٤-١٦٥] .

١٥٤- سورة الفجر ، الآية (٦ – ٨) ؛ جبر ، أيمن عبد العزيز ، روائع البيان لمعاني القران، ط[١] ، ١٩٩٧ ، ص[٥٩٣] .

١٥٥- سورة الشعراء ، الآية (١٣٣ – ١٣٤) ؛ الطوسي ، المصدر السابق ، ج[٨] ، ص[٤٧] .

١٥٦- سورة الأعراف ، الآية (٦٩) ؛ سورة فصلت ، الآية (١٥) ؛ سورة الفجر ، الآية (٨) ؛ الطبري ، جامع البيان ، ج[٨] ، ص[٢٤٨] ؛ ج[٢٤] ، ص[١١١] ؛ ج[٣٠] ، ص[١٩٤] .

١٥٧- سورة هود ، الآية (٥٢) ؛ الألوسي ، المصدر السابق ، ج[١٢] ، ص[ص١١٩- ١٢٠] ؛ جبر ، أيمن عبد العزيز ، المصدر السابق ، ص[٢٢٧] .

١٥٨- سورة هود ، الآية (٥٨ – ٥٩) ؛ سورة الاحقاف ، الآية (٢٤ – ٢٥) .

١٥٩- نور الحق ، فراس ، اكتشاف مساكن قوم عاد ، بحث منشور على شبكة الانترنت ، منتديات أسطورة العرب ، منتدى التاريخ ، ص[ص٤ – ٥] .

١٦٠- الطبطبائي ، المصدر السابق ، ج[١٠]، ص[٢٥٠] .

١٦١- الطبري ، تاريخ الأمم ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص[ص١٣٥ ، ١٤١] ؛ الهمداني ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص[٨٠] ؛ ابن حزم ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص[٤٦٢] .

١٦٢- المسعودي ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص[٥٠] ؛ ج[٢] ، ص[١٤٠] ؛ السهيلي ، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ، الروض الأنف ، ط[١] ، بيروت ، بلا.ت ، ج[١] ، ص[٤٣] ؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ج[١] ، ص[١١٠] .

١٦٣- الطبري ، تاريخ الأمم ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص[١٣٣] ، المسعودي ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص١٤٠ .

١٦٤- سورة الشعراء ، الآية (١٤٦ – ١٤٧) ؛ الطوسي ، المصدر السابق ، ج[٨] ، ص[٤٩] ؛ الطبرسي ، المصدر السابق ، ج[٧] ، ص[٣١٠] .

١٦٥- سورة الأعراف ، الآية (١٧٤) ؛ سورة الشعراء ، الآية (١٤٩) .

١٦٦- الشيرازي ، المصدر السابق ، مج[٥]، ص[٦٩] .

١٦٧- السعدي ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص[٢٩٥] .

١٦٨- سورة الشعراء ، الآية (١٥٠ – ١٥٨) ؛ سورة هود ، الآية (٦٤ – ٦٧) .

١٦٩- علي،جواد،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ط[٢]، ١٩٩٣،ج[٢] ،ص[ص٢٥٨- ٢٥٩ ، ٢٦٦]

١٧٠- ابن الكلبي ، أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب ، نسب معد واليمن الكبير ، تحقيق ناجي حسن ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ج[١] ، ص[ص١٣٢- ١٣٣] ؛ الأصمعي ، عبدالملك بن قريب ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، ط[١] ، بغداد ، ١٩٥٩ ، ص[ص١٣ ، ٨٠- ٨٨] ؛ اليعقوبي ، المصدر السابق، ج[١] ، ص[ص١٩٥، ٢٠٣ - ٢٠٥] ؛ علي ، جواد ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص[٢٥٨] .

١٧١- علي ، جواد ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص[٢٥٩] .

١٧٢- حول القائلين بهذا الرأي، ينظر: المصدر نفسه،ج[٢]،ص[ص٢٦٠-٢٦١] ؛ البكر، منذر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، البصرة ، ١٩٩٢ ، ص[ص٢١١-٢١٢] .

١٧٣- سورة النمل ، الآية (٢٢ – ٤٤) .

١٧٤- على ، جواد ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص[٢٦٢] .

١٧٥- بافقيه ، محمد عبد القادر ، تاريخ اليمن القديم ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص[٦٣] .

١٧٦- سورة سبأ ، الآية (١٦) .

١٧٧- العلي ، صالح احمد ، محاضرات في تاريخ العرب ، ج[١] ، ط[١] ، الموصل ، ١٩٥٤ ، ص[ص٢٢ – ٢٣] .

١٧٨- حسنين، فؤاد، التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية ، في كتاب التاريخ العربي القديم، القاهرة ، ١٩٥٨، ص[٢٩١] .

١٧٩- سورة سبأ ، الآية (١٥) .

١٨٠- الطبرسي ، المصدر السابق ، ج[٨] ، ص[ص٦٠٤ - ٦٠٥] .

١٨١- بافقيه ، محمد عبد القادر ، المصدر السابق ، ص[٦٣] .

١٨٢- سورة سبأ ، الآية (١٨) ؛ الطوسي ، المصدر السابق ، ج[٨] ، ص[٣٨٩] ؛ البغوي ، المصدر السابق ، مج[٤] ، ص[٢٩٧] ؛ الطبرسي ، المصدر السابق ، ج[٨] ، ص[ص١٨٤- ١٨٥] .

١٨٣- الملوك ، ١٠ : ٢ ؛ أبواب ، ٦ : ٩ ؛ المزامير ، ٧٢ : ١٠ ؛ ارميا ، ٦ : ٢٠ ؛ حزقيال ، ٢٧ : ٢٢ – ٢٤ .

١٨٤- علي ، جواد ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص[ص٢٧٨ - ٢٧٩] .

١٨٥- الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الموصل ، ١٩٩٤ ، ص[ص٦٩ ، ٧٨] .

١٨٦- هوهل ، فرتز ، التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية ، في كتاب التاريخ العربي القديم ، ص[٥٧] .

١٨٧- سورة سبأ ، الآية (١٦) ؛ ابن كثير ، تفسير القران ، مج[٣] ، ص[٦٩٨] ؛ قطب ، سيد ، المصدر السابق ، ج[١١] ، ص [ص١٨- ١٩] .

١٨٨- اكتشاف أثار سد تحت أنقاض سد مأرب القديم ، مقالة منشورة على شبكة الانترنت ، شبكة النبأ العالمية ، ٢٠٠٦ ، ص[١] .

١٨٩- سورة سبأ ، الآية (١٩) ؛ الطبري ، جامع البيان ، ج[٢٢] ، ص[ص٥٤ - ٩٥] ؛ الطبرسي ، المصدر السابق ، ج[٨] ، ص[١٨٥] .

١٩٠- الأصمعي ، المصدر السابق ، ص[ص٨٠- ٨٨] ؛ اليعقوبي ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص[ص٢٠٣ - ٢٠٥] ؛ الهمداني، الحسن بن أحمد ، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، بغداد ،١٩٨٩،ص[ص٣٢٦- ٣٣٠] .

١٩١- علي ، جواد ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص[ص٥٧٩ - ٥٨٠] .

١٩٢- المصدر نفسه ، ج[٢] ، ص[٥٨٢] .

١٩٣- الملاح ، هاشم يحيى ، المصدر السابق ، ص[١١٦] .

١٩٤- شبكة النبأ العالمية ، المصدر السابق ، ص[١] .

١٩٥- الشريف ، أحمد إبراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص[١١٠] ؛ سوسه ، احمد ، المصدر السابق ، ص[٢٥٠] .

١٩٦- سورة إبراهيم ، الآية(٣٧) ؛ الطبري ، جامع البيان ، ج[١٣] ، ص[ص٢٧٠ - ٢٧٣] ؛ الطوسي ، المصدر السابق ، ج[٦] ، ص[٣٠٠] ؛ البغوي ، المصدر السابق ، مج[٣] ، ص[٢٥٥] .

١٩٧- علي ، جواد ، المصدر السابق ، ج[٤] ، ص[٥] .

١٩٨- العلي ، صالح احمد ، المصدر السابق ، ص[٩٤] .

١٩٩- الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبدالله ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، ط[١]، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ج[١] ، ص[ص ٣٢- ٣٤] .

٢٠٠- سورة البقرة ، الآية(١٢٦) ، سورة إبراهيم ، الآية(٣٥) ؛ الرازي ، المصدر السابق ، ج[٤] ، ص[٦١] ؛ الطبطبائي ، المصدر السابق ، ج[١٢] ، ص[٥٥] ؛ الخطيب ، عبدالكريم ، المصدر السابق ، ج[٧] ، ص[١٩٠] . ويذكر إن دعاء إبراهيم(ع) الأول كان عندما جاء مكة ثانية ووجد قبيلة جرهم مجاورة لأهله ، إما دعاءه الأخر فكان بعد إن زارها للمرة الثالثة واكتشف إن ما تمناه لها قد تحقق ، ينظر: الطبطبائي ، المصدر السابق ، ج[١٢] ، ص[٥٥] ؛ الخطيب ، عبدالكريم ، المصدر السابق ، ج[٧] ، ص[١٩٠] .

٢٠١- سورة البقرة ، الآية (١٢٧) ؛ سورة الحج ، الآية (٢٦ – ٢٨) .

٢٠٢- الطبري ، جامع البيان ، ج[١٧] ، ص[١٧٥] ؛ القرطبي ، المصدر السابق ، ج[١٢] ، ص[٣٢] ؛ الطبطبائي ، المصدر السابق ، ج[١٤] ، ص[٣٠٨] .

٢٠٣- للمزيد من التفاصيل عن الأسواق الموسمية ، ينظر : اليعقوبي ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص[ص٢٧٠ – ٢٧١] ؛ الأزرقي ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص [ص١٤٩- ١٥٢] ؛ ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب ، كتاب المحبر ، تصحيح أيلزه ليختن ، بيروت ، بلا . ت ، ص[ص٢٦٣ – ٢٦٨] .

٢٠٤- سورة التوبة ، الآية (٣٦) .

٢٠٥- عاقل ، نبيه ، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ، ط[٣] ، دمشق ، ١٩٨٣ ، ص[٢٢٨] .

٢٠٦- كراون ، باتريشيا ، تجارة مكة وظهور الإسلام ، ترجمة أمال محمد ، مراجعة وتقديم محمد إبراهيم ، ط[١] ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، ص[٨٩] .

٢٠٧- الملاح ، هاشم يحيى ، المصدر السابق ، ص[٢٨٧] .

٢٠٨- القالي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم ، كتاب ذيل الأمالي والنوادر ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، مج[٢] ، ص[١٩٩] .

٢٠٩- سورة البقرة ، الآية (١٢٦) ؛ الطبري ، جامع البيان ، ج[١] ، ص[٦٩٢] ؛ الطوسي ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص[٤٥٩] ؛ الرازي ، المصدر السابق ، ج[٤] ، ص[٦٢] .

٢١٠- سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ الدولة العربية ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص[٢٣٦] .

٢١١- للمزيد من التفاصيل عن هذه الاتفاقيات ، يراجع :- البلاذري ، احمد بن يحيى ، انساب الإشراف ، تحقيق وتقديم سهيل زكار ورياض زركلي ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٦ ، ج[١] ، ص[٦٦] ؛ اليعقوبي ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص[ص٢٤٤ – ٢٤٦] ؛ الطبري ، تاريخ الأمم ، ج[٢] ، ص[١٦٠] ؛ القالي ، المصدر السابق ، مج[٢] ، ص[ص١٩٩ – ٢٠٠] .

٢١٢- القالي،المصدر السابق،مج[٢] ، ص[١٩٩] ؛ علي ، جواد ، المصدر السابق ، ج[٤] ، ص[٧١] .

٢١٣- الملاح ، هاشم يحيى ، المصدر السابق ، ص[٢٨٨] . ٢٠٥

٢١٤- علي ، جواد ، المصدر السابق ، ج[٤] ، ص[١٢٦] .

٢١٥- البلاذري ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص[٦٦] .

٢١٦- الرازي ، المصدر السابق ، ج[٣٢] ، ص[ص١٠٧ – ١٠٨] .

٢١٧- سورة قريش ، الآية (١ – ٤) .

٢١٨- البغوي ، المصدر السابق ، مج[٥] ، ص[٤٠١] ؛ الطبرسي ، المصدر السابق ، ج[١٠]، ص ص[٤٠٥-٤٠٧] .

٢١٩- سورة الفيل ، الآية (١-٥) .

٢٢٠- الملاح ، هاشم يحيى ، المصدر السابق ، ص[٢٩١] .

٢٢١- سورة القصص ، الآية (٥٧) .

٢٢٢- الزمخشري، المصدر السابق،ج[٢] ، ص[٤١١] ؛ ج[٣]، ص[٣١٩] ؛ الشيرازي، المصدر السابق،ج[١٢]، ص ص[١٩٢ ، ١٩٣] .

٢٢٣- الواقدي ، محمد بن عمر ، كتاب المغازي ، تحقيق مارسدن جونس ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ج[١] ، ص[١٦] .

٢٢٤- الأزرقي ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص[٢٢٩] .

٢٢٥- الحميري ، محمد بن عبد المنعم ، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص[٣٧٩] .

٢٢٦- كراون ، باتريشيا ، المصدر السابق ، ص ص[٢٩٨ - ٢٩٩] .

٢٢٧- سورة الفرقان ، الآية (٧) .

٢٢٨- سورة الأنعام ، الآية(٦٣-٦٤ ، ١٤٢) ؛ سورة يونس ، الآية(٢٢) ؛ سورة النحل ، الآية(٥ ، ٧) ؛ سورة يس ، الآية(٧١- ٧٢) ؛ سورة الزخرف ، الآية (١٢-١٣) ، الطبري ، جامع البيان ، ج[٧] ، ص[٢٥٦]؛ ج[١١] ، ص[١١٨] ؛ ج[١٤]، ص[٩٨] ؛ ج[٢٣] ، ص ص[٣١-٣٢] ؛ ج[٢٥] ، ص[٦١] .

٢٢٩- سورة العنكبوت ، الآية (٦٥ – ٦٧) .

٢٣٠- الطبري ، جامع البيان ، ج[٢١] ، ص ص[١٥-١٦] ؛ الطوسي ، المصدر السابق ، ج[٨] ، ص ص[٢٥٥-٢٥٦] ؛ الزمخشري ، المصدر السابق ، ج[٣] ، ص[٣٥٠] .

٢٣١- الشريف ، احمد إبراهيم ، المصدر السابق ، ص٢٣٧ .

٢٣٢- سورة هود ، الآية(٨٤-٨٥) ؛ سورة الإسراء ، الآية(٣٥) ؛ سورة الشعراء ، الآية(١٨١-١٨٢) ؛ سورة الحديد ، الآية (٢٥) .

٢٣٣- الشريف ، احمد إبراهيم ، المصدر السابق ، ص[٢٣٧] .

٢٣٤- سورة البقرة ، الآية(٢٧٨) .

٢٣٥- الطبري ، جامع البيان ، ج[٣] ، ص[١٣٤] ؛ الطوسي ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص ص[٣٦٥ - ٣٦٦] ؛ الطبرسي ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص[٢١٠] .

٢٣٦- مسلم بن الحجاج ، أبي الحسين مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، ط[١] ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ج[٢] ، ص[٨٨٩] .

٢٣٧- سورة آل عمران ، الآية(١٣٠) .

٢٣٨- الطبري ، جامع البيان ، ج[٤] ،ص ص[١٠٩ - ١١٠] ؛ الرازي ، المصدر السابق، ج[٩] ، ص[٣] .

٢٣٩- الملاح ، هاشم يحيى ، المصدر السابق ، ص[٢٩٣] .

٢٤٠- سورة الأنعام ، الآية(٥٢ – ٥٣) ؛ الطبطبائي ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص ص[٨٤ - ٨٨] .

٢٤١- سورة الماعون ، الآية (٢- ٣) ؛ الجزائري ، أبي بكر ، المصدر السابق ، ج[٥] ، ص[٢١٥١] .

٢٤٢- سورة الهمزة ، الآية (١- ٣) ؛ الطبرسي ، المصدر السابق ، ج[١٠] ، ص[٣٩٤] .

٢٤٣- سورة المسد ، الآية (١-٢) .

٢٤٤- سورة الزخرف ، الآية (٣١ – ٣٢) .

٢٤٥- الشيرازي ، المصدر السابق ، ج[١٦] ، ص[ص٣١ – ٣٣] .

٢٤٦- الملاح ، هاشم يحيى ، المصدر السابق ، ص[٢٩٣] .

٢٤٧- السهيلي ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص[٣٤٧] .

٢٤٨- الملاح ، هاشم يحيى ، المصدر السابق ، ص[٣٤٥] .

٢٤٩- سورة التوبة ، الآية (١٢٠). أما لفظة يثرب التي وردت في القران أيضا فهي حكاية عن لسان المنافقين، ينظر : سورة الأحزاب ، الآية (١٣) ؛ السهيلي ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص[٣٤٧] .

٢٥٠- إذ ذكرت في احد نقوش الملك نبونائيد ، ويبدو منه إن يثرب كانت أخر مدينة امتد إليها حكم هذا الملك في شبه جزيرة العرب ، ينظر :- علي ،جواد،المصدر السابق،ج[٤]،ص[٩] .

٢٥١- الشريف ، احمد إبراهيم ، المصدر السابق ، ص[٣١٤] .

٢٥٢- طنطاوي ، محمد سيد ، بنو إسرائيل في القران والسنة ، ج[٢] ، ط[١] ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص[٧٤] .

٢٥٣- الملاح ، هاشم يحيى ، المصدر السابق ، ص[٣٤٠] .

٢٥٤- سورة إل عمران ، الآية (٧٥) .

٢٥٥- الطبطبائي،المصدر السابق،ج[٣]،ص[ص٢٢٧-٢٢٩] ؛ طنطاوي ، محمد سيد ، المصدر السابق ، ج[٢] ،ص[ص٢٦٣-٢٦٥] .

٢٥٦- الشريف ، احمد إبراهيم ، المصدر السابق ، ص[ص٣٩٧-٣٩٨] .

٢٥٧- الرازي ، المصدر السابق ، ج[٧] ، ص[٢١٣] ؛ ج[٨] ، ص[١١٢] ، الطبرسي ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص[٣٢٤] .

٢٥٨- الشريف ، احمد إبراهيم ، المصدر السابق ، ص[ص٣٧٩ ، ٣٨٠ – ٣٨١] ؛ الملاح ، هاشم يحيى ، المصدر السابق ، ص[٣٤٦] .

٢٥٩- سورة المؤمنون ، الآية (١٨ –١٩) ؛ الطبري ، جامع البيان ، ج[١٨] ، ص[ص١٦-١٧] .

٢٦٠- السمهودي ، نور الدين علي بن احمد ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، تحقيق محمد محي الدين ، بيروت ، ١٩٥٥، ج[١] ، ص [ص١٦٣-١٦٥] ؛ الشريف ، احمد إبراهيم ، المصدر السابق ، ص[٣١٩] .

٢٦١- سورة الحشر ، الآية (٢ ، ٥) ؛ سورة الأحزاب ، الآية (٢٦ – ٢٧) ؛ الطبري ، جامع البيان،ج[٢٨] ،ص[٣٧] ،ج[٢١] ،ص[١٦٦] ؛البيضاوي، المصدر السابق ، مج[٢] ، ص [ص٨٣٤ ، ١٠٥٧] .

٢٦٢- سورة البقرة ، الآية (١٦ ، ٢٨٢) ؛ سورة النساء ، الآية (٢٩) ؛ سورة التوبة ، الآية (٢٤) ؛ سورة النور ، الآية (٣٧) ؛ سورة الصف ، الآية (١٠) ؛ سورة الجمعة ، الآية (١١) .

٢٦٣- سورة الجمعة ، الآية (٩ – ١١) ؛ الطبري ، جامع البيان ، ج[٢٨] ، ص[١١٦] ؛ البغوي ، المصدر السابق ، مج[٥] ، ص[٢٥٧] ؛ الطبرسي ، المصدر السابق ، ج[١٠] ، ص[ص١٠-١١] .

٢٦٤- الشريف ، احمد إبراهيم ، المصدر السابق ، ص[٣٨٢] ؛ الملاح ، هاشم يحيى ، المصدر السابق ، ص[٣٤٦] .

٢٦٥- سورة المطففين ، الآية (١-٣) ؛ الطبري ، جامع البيان ، ج[٣٠] ، ص[٩٩] ؛ البغوي ، المصدر السابق ، مج[٥] ، ص[٣٣٢] ؛ الزمخشري ، المصدر السابق ، ج[٤] ، ص[٥٣٩] .

٢٦٦- سورة النساء ، الآية (١٦١) .

٢٦٧- طنطاوي ، محمد سيد ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص[٢٦٥] ؛ الخطيب ، عبدالكريم ، المصدر السابق ، ج[٣] ، ص[١٠٤] .

٢٦٨- سفر التثنية ، ٢٣ : ٢٠ – ٢١ .

٢٦٩- طنطاوي ، محمد سيد ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص[٧٩] .

٢٧٠- الملاح ، هاشم يحيى ، المصدر السابق ، ص[٣٤٩] .

٢٧١- سورة البقرة ، الآية (٢٧٥- ٢٧٦ ، ٢٧٨- ٢٧٩) .

٢٧٢- سورة التوبة ، الآية (٣٤) ؛ سورة البقرة ، الآية (٧٩) ؛ الطبري ، جامع البيان ، ج[١٠] ، ص[١٣٧] ؛ البغوي ، المصدر السابق ، مج[٣] ، ص[٢٥] .

٢٧٣- الطبرسي،المصدر السابق،ج[١] ، ص[٢٤٢] ؛ الشيرازي ، المصدر السابق ، ج[١]، ص[٢٠١] .

٢٧٤- سورة المائدة ، الآية (٤٢) ؛ الزمخشري ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص[٤٨٧] ؛ ج[٢] ، ص[١٩٩] ؛ الطبطبائي ، المصدر السابق ، ج[٥] ، ص[٢٩١] ؛ ج[٩] ، ص[٢٠٧] .

٢٧٥- سورة النساء ، الآية ، (١٦٠ – ١٦١) ؛ سورة الأنعام ، الآية (١٤٦) .

٢٧٦- الطبري، جامع البيان،ج[٨]، ص[٨٤ ، ٨٧ – ٨٩] ؛ الطبرسي ، المصدر السابق، ج[٨] ، ص[٨٤، ٨٧ - ٨٩]؛ ج[٤] ، ص[١٧٥] .

٢٧٧- سورة أل عمران ، الآية (٩٣ – ٩٤) ؛ الفيروزأبادي ، المصدر السابق ، ص[٦٢] ؛ الزمخشري ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص[٢٩٥] ؛ الشيرازي ، المصدر السابق ، ج[٢]، ص[ص٣٩٨- ٤٠٠] .

٢٧٨- البخاري ، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، تحقيق خليل مأمون شيحا ، ط[٢] ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص[٥٧٢] .

٢٧٩- سورة آل عمران ، الآية (٩٣) ؛ الطبري ، جامع البيان ، ج[٤] ، ص[٣] ؛ الزمخشري ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص[ص٢٩٤-٢٩٥] ؛ الشيرازي ، المصدر السابق ، ج[٢]، ص[٣٩٩] .

٢٨٠- الطبري ، جامع البيان ، ج[٤]، ص[٨] ؛ الطوسي ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص[٥٣٢] ؛ البغوي ، المصدر السابق ، مج[١] ، ص[ص٣١٣-٣١٤] .

٢٨١- سورة النحل ، الآية (٦٧) .

٢٨٢- الشريف ، احمد إبراهيم ، المصدر السابق ، ص[ص٣٩٩] .

٢٨٣- سورة الحديد ، الآية (٢٥) ؛ مغنيه ، محمد جواد ، المصدر السابق ، مج[٧] ، ص[٢٥٦] .
٢٨٤- السمهودي ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص[١٩٨] .
٢٨٥- الشريف ، احمد إبراهيم ، المصدر السابق ، ص[ص٣٩٩] .
٢٨٦- سورة الرعد ، الآية (١٧) ؛ البغوي ، المصدر السابق ، مج[٣] ، ص[٢٠٤] ؛ الرازي ، المصدر السابق ، ج[١٩]، ص[٤٣] ؛ ابن كثير ، تفسير القران ، مج[٢] ، ص[٦٦١] .
٢٨٧- الشريف ، احمد إبراهيم ، المصدر السابق ، ص [ص٣٩٩- ٤٠٠] .
٢٨٨- المصدر نفسه ، ص[ص٣٨٤ - ٣٨٥] .
٢٨٩- سورة الأنعام ، الآية (١٤٢) ؛ سورة النحل ، الآية (٥-٨ ، ٦٦ ، ٨٠) ؛ سورة المؤمنون ، الآية (٢١- ٢٢) ؛ سورة يس ، الآية (٧١ – ٧٣) ؛ سورة غافر ، الآية (٧٩- ٨٠) ؛ سورة الزخرف ، الآية (١٢ -١٣) .
٢٩٠- سورة الزخرف، الآية(٣١) ؛ الطبري، جامع البيان ،ج[٢٥]،ص[٧٤] ؛ الطوسي ، المصدر السابق،ج[٩] ،ص[١٩٥] .
٢٩١- علي ، جواد ، المصدر السابق ، ج[٤] ، ص[١٤٨] .
٢٩٢- ابن حزم ، المصدر السابق ، ص[٤٦٨] .
٢٩٣- الملاح ، هاشم يحيى ، المصدر السابق ، ص[ص٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٧] .
٢٩٤- سورة النحل ، الآية (٦٧) .
٢٩٥- سورة الإنعام ، الآية(٩٩) ؛ سورة التين ، الآية(١) .
٢٩٦- سالم ، السيد عبد العزيز ، الدولة العربية ، ص[ص٢٦٧- ٢٦٨] .
٢٩٧- علي ، جواد ، المصدر السابق ، ج[٤] ، ص[ص١٥٢ - ١٥٤] .
٢٩٨- المصدر نفسه ، ج[٤]، ص[١٥٢] .ويبدو إن الربا كان شائعا في ثقيف إلى الحد الذي وصفوا بأنهم أصحاب ربا ، يراجع : البلاذري ، أبي الحسن احمد بن يحيى ، فتوح البلدان ، ط[١] ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ص[٤١] .
٢٩٩- سورة النحل ، الآية(٦٨-٦٩) .
٣٠٠- سالم ، السيد عبد العزيز ، الدولة العربية ، ص [ص٢٦٩، ٢٧٠] .
٣٠١- البلاذري ، فتوح ، ص[٤١] .
٣٠٢-الحميري، المصدر السابق ، ص[٣٧٩] ؛ الملاح ، هاشم يحيى ، المصدر السابق ، ص[ص٣١٧ ، ٣١٨] .
٣٠٣- الأزرقي ، المصدر السابق ، ج[٢] ، ص[٢٢٩] .